أسطورة إيزيس وأوزوريس
والنسيج القصصي لرواية "الإثيوبية"

د. هشام درويش

مقدمة:

لقد احتلت مصر مكانة هامة في الرواية اليونانية القديمة، لاسيما وأن اجزاءاً كبيرة منها قد دارت على أرض مصر.فلقد كتبت أهم هذه الروايات في عصر الإمبراطورية الرومانية[1] ، وهي الحقبة التي انتشرت فيها عبادة إيزيس انتشاراً كبيراً في حوض البحر المتوسط [2]. كما ارتبطت المناقشات التي جرت حول تاريخها وأصلها بمصر القديمة وأدبها أو ما كتب على أرضها من أدب[3]. بل أن هناك نظرية تطورت منذ العقد الثالث من القرن الماضي – على يد العالمين Karl Kerenyi و Merkelbach – تربط بين الرواية والعبادات السرية بوجه عام وعبادة إيزيس على وجه الخصوص. وطبقاً لهما، يمثل عدد من هذه الروايات اليونانية القديمة صياغات أدبية لشعيرة سرية ويهدف لمخاطبة الملقنين في تلك الشعيرة. لقد سعى كيريني نحو اقتراح مفاده أن كل الروايات اليونانية تظهر نموذج موجود في الطقوس السرية المصرية لعبادة إيزيس وأوزوريس ، التي اتسع نطاق انتشارها في العصر الهيلينستي والقرون المبكرة من عصر الإمبراطورية الرومانية في عالم البحر المتوسط وما وراءه. وقد ذهب ميركيلباخ حتى إلى ما هو أبعد مما ذهب إليه سابقه؛ فهو يشير إلى أن كل الروايات المتبقية - باستثناء روايات خاريتون - تعد في الواقع نصوص ذات طابع ديني سري (*Mysterientexte*) ، والتي تهدف إلى أن تكون مفهومة تماماً لؤلئك الذين تم تلقينهم داخل عبادات سرية. وطبقاً لمركلباخ فإن روايات إكسينوفون وأخيليوس تاتيوس تمجد إيزيس بينما تنتمي رواية إيامبيليخوس لعبادة مثرا الفارسية ، ورواية لونجوس لعبادة ديونيسوس ورواية هيليودوروس لعبادة هيليوس إله الشمس.[4] ولقد قُوبلت هذه النظرية من قبل معظم النقاد بالتحفظ تارة وبعدم الترحيب تارة وبسهام النقد تارة أخرى. وقد اعتمد هذا التحفظ وعدم الترحيب والنقد على حجة أساسية ،هي أن أوجه الشبه بين الرواية والشعيرة السرية تفسر بوصفها نتيجة لنشاط تخيلات دينية متشابهة؛ فكل من الرواية والشعيرة السرية يعد استعارات بلاغية ومجازات للحياة الإنسانية . إن أوجه الشبه بينهما هي أوجه شبه بين أسطورة وأسطورة. وليس من المستغرب أن تتشابه وسيلتي عرض الحياة الروحية في ذلك العصر مع بعضهما البعض؛ إن إحداهما ليست بالضرورة مشتقة من الأخرى.[5]

وعلى الرغم من أن بعض خطوات هذا البحث قد تتقاطع مع بعض عناصر هذه النظرية ، إلا أننا لسنا بصدد الدفاع عنها أو تبنيها، كما أننا لسنا بصدد الهجوم عليها أو دحضها ؛ فما يهمنا في هذا البحث ليس هو الحديث عن علاقة الرواية بوجه عام بالعبادات السرية لهذه لشخوص المؤلهة مثل هيليوس وميثرا وديونيسوس أو حتى إيزيس وإنما يتمثل **هدفنا** في إلقاء الضوء على إشارة بعينها لإيزيس وأزوريس في ثنايا فقرة من فقرات رواية الإثيوبية ليهيليودوروس وتحليل أحداث الرواية في ظلها ،الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى اكتشاف ورصد الصدى "الأوزيري" لهذه الإشارة في أحداث الرواية ككل. هذا الصدى من شأنه أن يوضح لنا تركيب الرواية اليونانية القديمة في أوج ازدهارها من حيث الشكل والمضمون ، وهو الأمر الذي من شأنه أن يلقي ضوءاً –ولو بسيطاً- على طبيعة الرواية في طور تكوينها حتى ازدهارها. وفي سعينا لتحقيق هذا الهدف نتبع **منهجاً** تحليلياً لأحدث الرواية في ضوء هذه الفقرة. ومن ثم ينقسم البحث إلى اربعة أقسام : الأول نورد فيه الفقرة التي وردت فيها هذه الإشارة وترجمة لها في إطار ملخص عام لأحداث الرواية ، حيث نبين فيه

خطوط أحداث الرواية ودرجات القص فيها. وفي الثاني نتناول صدى عناصر أسطورة إيزيس وأوزوريس كما وردت في هذه الإشارة في الحدث الرئيس لها (قصة الحبيبين ثياجانيس وخاريكليا). وأما الثالث فنتناول فيه صداها في أقصوصة الإبن (كنيمون) وزوجة الأب. وفي الرابع نتناول صداها في حكاية الأخوين إبني كالاسيريس (ثياميس وبيتوسيريس).

أولاً:الإشارة للأسطورة داخل الرواية:

وفيما يلي ملخص الرواية وفي داخله الفقرة موضوع الدراسة وترجمتها. وسوف نقوم بتلخيص ما ورد في كل درجه من درجات القص بخط مختلف عما ورد في درجات القص الأخرى : ١- الخط العادي ، نورد فيه تلخيصاً في زمن المضارع لما يرويه الراوي الأصلي (المؤلف نفسه). ٢- الخط المنضد، نورد فيه تلخيصاً في زمن الماضي لما يرويه شخص داخل الرواية. ٣- الخط المنضد المخطوط أسفله ، ونورد فيه تلخيصاً في زمن الماضي لما يرويه شخص ثاني في داخل ما يرويه الشخص الأول. ٤- الخط المنضد المفرق المخطوط أسفله ، ونورد فيه ملخصاً في زمن الماضي لما يرويه شخص ثالث داخل ما يرويه الشخص الثاني. ٥- الخط المائل بين هلالين مثنيين (( )) ، ونورد فيه في زمن الماضي ما يوجز فيه الراوي الأصلي أو أحد هؤلاء الأشخاص من أحداث مضت:

تبدأ الرواية بمشهد على المصب الهيراقليوتي (الكنوبي)[6] للنيل ، حيث ترى جماعة من اللصوص سفينة وجثثاً هنا وهناك وفتاة (خاريكليا) كأنها إيزيس أو أرتميس ، وإلى جانبها حبيبها الشاب الجريح (ثياجينيس). لكن هذه الجماعة سرعان ما تلوذ بالفرار عندما تأتي جماعة أخرى من اللصوص يتزعمها رجل مصري (ثياميس). يقع الشاب والفتاه في يد الجماعة الأخيرة ويُعهد بهما إلى شاب يوناني (كنيمون) ليتولى حراستهما ورعايتهما فيقص عليهما قصته :**إنه شاب أثيني أغرمت به (ديمينيتي) زوجة أبيه (أريستيبوس) ، ولما أبى وشت به عند أبيه فضربه. ثم دبرت له مكيد بمساعدة الخادمة(ثيسبي) فنفي إلى إجينا ، ثم قابل صديقه (خارياس) الذي يقص عليه ما حدث في إثينا بعد نفيه :لقد وقع الشقاق بين ديمينيتي وثيسبي، فدبرت هذه الأخيرة حيلة بمساعدة صديقتها (أرسينوى) ،لقيت ديمينيتي حتفها على إثرها**. (يعود القص إلى الحاضر) يعلن ثياميس عزمه الزواج من خاريكليا ، وذلك بعد حلم رأى فيه إيزيس وهي تعطيها له وبعد حديث يظهر فيه أنه ابن كاهن منف الذي اغتصب منه اخوه الأصغر (بيتوسيريس) هذا المنصب بعد رحيل الأب. وتدعى البطلة الموافقة ، لكنها تماطل لكسب الوقت. ثم تهاجم ثياميس جماعة اللصوص الأخرى بتحريض من أخيه أيضاً. ولما تحيق الهزيمة بثياميس يعتزم قتل خاريكليا كي لا يتزوجها أحد غيره ، فيخطؤها ويقتل ثيسبي. [الكتاب الثاني] يبحث ثياجينيس وكنيمون عن خاريكليا. يجدان ثيسبي مقتولة في مدخل الكهف وفي داخله خاريكليا حية. يواصل كنيمون قصته (**ما عرفه في إيجينا من رجل آخر (أنتيكليس) أخبره بما حدث بعد مقتل ديمينيتي): لقد وقع الشقاق بين ثيسبي وأرسينوي ، بسبب غيرة الأخيرة عند مشاهدتها تاجر من نوقراطيس (نوسيكليس) يعانق ثيسبي ، فتفوهت بالحيلة التي دبرتها ضد ديمينيتي ، الأمر الذي كان من شأنه أن كال الخطباء التهم ضد ثيسبي وأريستيبوس ، فنفي أريستيبوس وفرت ثيسبي إلى مصر مع نوسيكليس**.(يعود القص إلى الحاضر) يجد كنيمون خطاباً إلى جانب ثيسبي، ((*أخبرته فيه بذنبها وأنها أتت إلى مصر فاختطفها اللصوص ، ولما رأته بالصدفه كتبت له هذا الخطاب كي يأتي لإنقاذها ، وليفعل فيها بعد ذلك ما يشاء*)). ثم يأتي نائب ثياميس(ثيرموثيس) فيبكي ثيسبي التي كان قد أحبها بعد اختطافها. ثم يفترق كنيمون عن الحبيبين بعد أن اتفق معهما على الالتقاء في خيميس[7]. ثم يمضي هو مع ثيرموثيس متظاهراً بالذهاب معه للبحث عن ثياميس ، لكنه يخدعه ويفلت منه. يلتقي بعدها بكاهن مصري (كالاسيريس) الذي يصطحبه إلى بيت نوسيكليس ،الذي ذهب إلى قائد الحامية (ميترانيس) للبحث عن ثيسبي. ويقص كالاسيريس قصته على كنيمون: **كان كالاسيريس كاهناً لإيزيس. هرب بعد شهوة آثمة تجاه امرأة فاتنة تدعى رودوبيس ونبؤة مشؤمة تنذر باقتتال ولديه. التقي بكاهن أبوللون (خاريكليس) الذي حكى له قصته : لقد رحل إلى مصر بعد وفاة ابنته فقابل أحد الفلاسفة العراه (سيسيميثريس). أعطاه هذا الرجل بنتاً صغيرة (خاريكليا) عمرها سبع سنوات وقص عليه قصتها: "لقد كان قد وجدها في بلده إثيوبيا وهي ما تزال طفلة رضيعة ومعها مجوهرات ثمينة ومكتوب باللغة المحلية يروي قصة ولدتها وسبب تخلي أمها عنها. فقام بتربيتها ورعيتها. ولما جاء إلى مصر سفيراً لواليها الفارسي أتى بها معه". ثم عهد سيسيميثريس بالطفلة وما معها لخاريكليس بعد أن أخذ عليه موثقاً من الإله ان يرعاها ويزوجها من رجل حر وواعداً إياه أن يلتقي في اليوم التالي حتى يخبره بمعلومات أكثر عن الطفلة. لكن سيسيميثريس اختفى بعد ذلك فرحل خاريكليس بالفتاه إلى دلفي حيث شبت وأصبحت كاهنة في المعبد. استعان خاريكليس بكالاسيريس كي يقنع الفتاه بالزواج من قريب له (ألكامينيس). [الكتاب الثالث] حضر كالاسيريس مع خاريكليس الاحتفال الذي يقام على شرف نيوبتوليموس. لاحظ**

وقوع الشاب (ثياجينيس) ،قائد الموكب الثيسالي، وخاريكليا في الحب من أول نظرة. قابل ثياجينيس وأعلمه بأنه قد اكتشف أمر هذا الحب. ثم رأى أبوللون وأرتيميس يأمرانه بالعودة بالحبيبين إلى مصر. ثم اصطحبه خاريكليس لرؤية خاريكليا التي أضناها الهوى. [الكتاب الرابع] قرأ كالاسيريس المكتوب الذي وجد مع الفتاه والذي كتب بحروف إثيوبية ملكية :((***وكيف أنها ابنة ملكة إثيوبا (برسينا) وملكها (هيداسبيس). لقد وضعتها إمها بيضاء (لرؤيتها أندروميدا ساعة حملها) ، فخافت من زوجها الملك الأسود ، فتخلصت منها تاركة معها الأشياء التي يمكن أن يتم التعرف عليها من خلالها يوماً ما***** **)). ثم أخبر كلاسيريس الفتاه بما في الرسالة وكيف أنه قد جاء إلى دلفي لإرجاعها ؛ فقد كان قد ذهب إلى إثيوبيا وقابل ملكتها وعهدت إليه أن يقصها ، وبناءاً على ذلك أتى إلى دلفي. ثم يرسم خطة الهروب من دلفي دون علم خاريكليس.[الكتاب الخامس] ثم يبحرون إلى زاكينثوس.** (يعود القص إلى الحاضر) يقطع القصَ مجيءُ نوسيكليس مصطحباً معه فتاة أخرى بدلاً من ثيسبي ويدخلها في حجرة أخرى. يسمع كنيمون صوت هذه الفتاه بالليل فيرتعد ، فصوتها صوت خاريكليا بينما تدعو نفسها ثيسبي. ثم يقص الراوي ما حدث : ((*لقد وقع ثياجينيس وخاريكليا في يد ميترانيس، وعندما رأى ناوسيكليس جمال خاريكليا أدعى أنها ثيسبي وأخذها تاركاً ثياجينيس*)). (ثم يعود القص إلى الحاضر). ويخبر ناوسيكليس كالاسيريس وكنيمون بما حدث فيدركان أنها خاريكليا. ويكمل كالاسيريس سرد قصته: **لقد قضى هو والحبيبين الشتاء في زاكينثوس. وهناك رأى أوديسيوس في منامه يلومه على تجاهله متوعداً إياه أن يصيبه في البحر ما أصابه. ثم يبحرون منها فتتعرض السفينة للقرصنة في البحر من قبل عصابة يتزعمها رجل (تراخينوس) كان يريد خاريكليا له. وبناءاً على حيلة دبرها كالاسيريس تقاتل مع مساعده (بيلوروس) حتى تفانوا. ورست السفينه على مصب النيل لتجد عصابة من اللصوص في انتظارها. يبتعد كالاسيريس ويراقب الموقف من بعيد ويتم أسر الحبيبين**. [الكتاب السادس] (يعود القص إلى الحاضر) يذهب كالاسيريس وكنيمون وناوسيكليس للبحث عن ثياجينيس. يروي كنيمون قصته لهما. فيقوم الراوي باختصار ما سبق وقصه على كل من ثياجينيس وخاريكليا. ثم يكمل باختصار ما حدث له بعد ما رواه له أنتيكليس في إجينا:((*فلقد أبحر معه إلى مصر للبحث عن ثيسبي حتى تنال عقابها ويخلص أباه من العار الذي لحق به، لكن السفينة وقعت في يد القراصنة ، وأخيراً وصل إلى مصر ليقع في يد جماعة اللصوص التي يزعمها ثيامين*)). (يعود القص إلى الحاضر) يتزوج كنيمون من بنت ناوسيكليس. ثم يتنكر كالاسيريس وخاريكليا ويذهبان نحو قرية بيسا[8] للبحث عن ثياجينيس. يشاهدان آثار معركة ، فيسألان عما جرى فتخبرهما امرأة عجوز بما حدث: *استولى جماعة (من لصوص أهل القرية) من جنود ميترانيس على شاب (ثياجينيس) بحجة أنه منهم. قامت معركة بين اللصوص والحامية انتصر فيها اللصوص وقتل فيها ميترانيس. رحل اللصوص إلى منف حتى يبادروا باللهجوم وليستردوا منصب الكهانة لثيامين (زعيمهم) من أخيه بيتوسيريس الذي اغتصبه منه*)). (يعود القص إلى الحاضر) تقوم العجوز ببعض الطقوس السحرية لاستحضار روح ابنها في جثته ، فتخبر عن أشياء في باطن الغيب، من بينها أن ثيامين وبيتوسيريس (ولدي كالاسيريس) على وشك أن يقتتلا.[الكتاب السابع] يهرع كلاسيريس وخاريكليا إلى منف ليمنعا وقوع الكارثة ولتلتقي البطلة بحبيبها. فينتقل القص إلى هناك ، حيث يحول إغلاق أبوابها دون دخول عصابة اللصوص إليها. فتحاصر العصابة المدينة وتطلب باسترداد الكهانة لثيامين. ونظراً لغياب الوالي الفارسي (أوروندانيس) يحال الأمر إلى المرأه اللعوب أرساكيس زوجته وأخت ملك الفرس. ويقص الراوي قصتها :((*لقد أغرمت بثيامين عند تنصيبه كاهناً فلم ينتبه إليها. لكن أخاه بيتوسيريس الذي كان يطمع في منصبه وشى به عند أورونداتيس. فما انفك هذا يهدده حتى هرب ، ليستولى الأخ المحتال على المنصب*)). (ثم يعود القص للحاضر) فتقضي أرساكي أن يقتتل الأخوان ، والكهانة لمن ينتصر. لكن كلاسيريس يظهر في الوقت المناسب ليحقن دم ابنيه. يموت كالاسيريس بعد ذلك وتنتقل الكهانة إلى ثيامين الذي أوصاه أبوه بالشاب والفتاة خيرا. وتستضيف أرساكي ثياجانيس وخاريكليا –اللذين ادعيا أنهما أخوان- كي تطفأ جذوة شهوة عارمة تملكتها تجاه ثياجينيس. وتراوده عن نفسه بمعاونة خادمتها (كيبيلي) فيرفض. وتعلم أن السبب هو حبه لخاريكليا ، فتصب عليها جام غضبها وتعد إبن كيبيلي (أخيمينيس) أن تزوجه خاريكليا. لكنها تخلف وعدها فيغضب أخيمينيس لذلك ويزمع الذهاب إلى الوالي ليخبره بأمر زوجته. [الكتاب الثامن] ينتقل القص إلى هناك ، حيث يتم وصف فيلة المتنازع عليها. يصل أخمينيس ويقص على أروناتيس ما يحدث في بيته. يرسل أوروناتيس الخصي(باجوس) على رأس خمسين فارساً لإحضار ثياجانيس وخاريكليا. ثم يروي الراوي ما يحدث في منف أثناء ذلك ، حيث يذهب ثيامين إلى أرساكي لاستعادة الشاب والفتاه. لكنها ترفض وتطرده فيمطرها بالدعوات والتنبؤات المشؤمة. ثم تنفذ كيبيلي خطة لقتل خاريكليا بالسم. يحدث خطأ فتُقتل كيبيلي. تتهم أرساكي خاريكليا بقتلها ويلقى بها في النار فتنجو بمعجزة. وتقوم أرساكي بتعذيب الحبيبين. تسقط أرساكي فريسة للمرض. يأتي باجواس ويأخذ الحبيبين ليذهب بهما إلى الوالي. يعلمون في الطريق أن أرساكي قد انتحرت. ثم يسقطون في يد الجنود الإثيوبيين الذين يزمعون الذهاب بهم إلى هيداسبيس. [الكتاب التاسع] يتم وصف الجزء الأول من المعركة بين جيش الفرس بقيادة أوروناتيس والإثيوبيين بقيادة هيداسبيس. تحاصر المدينة بالطين

من جراء ما فاض من مياه فتفرض الهدنة نفسها وينخرط السكان في الاحتفال بعيد النيل. ويخرج الراوي عن القص ليشرح لنا سبب وحقيقة هذا العيد ، فيقول:

και γαρ πως συνεπεσε και τα Νειλῳα τοτε , την μεγιστην παρ᾽ Αιγυπτιοις εορτην, ενεστηκεναι, κατα τροπας μεν τας θερινας μαλιστα και οτε αρχην της αυξησεως ο ποταμος εμφαινει τελουμενην , υπερ πασας δε τας αλλαςπρος Αιγυπτιων σπουδαζομενην δι᾽ αιτιαν τοιανδε . θεοπλαστουσι τον Νειλον Αιγυπτιοι καικρειττονων τον μεγιστον αγουσιν,αντιμιμον ουρανουτον ποταμον σεμνηγορουντες οια δη διχα νεφωσεων και υετων αεριων την αρουμενην αυτοις αρδοντος και εις ετος αει τεταγμενως επομβριζοντος·και ταυτῃ μεν ο πολυς λεως· α δε εκθειαζουσιν,εκεινα· του ειναι και ζην ανθρωπους την υγρας τε και ξηρας ουσιας συνοδον αιτιαν μαλιστα νομιζουσι , τα αλλα στοιχεια τουτοις συνυπαρχειν τε και συναναφαινεσθαι λεγοντες,και την μεν υγραν τον Νειλον, θατεραν δε την γην την αυτων εμφαινειν. και ταυτι μεν δημοσιευουσι, προς δε τους μυστας Ισιν την γην και Οσιριν τον Νειλον καταγγελλουσι , τα πραγματα τοις ονομασι μεταλαμβανοντες . ποθει γουν απονται η θεος καιχαιρει συνοντι και μη φαινομενον αυθις θρηνει και ως δη τιναπολεμιον τον Τυφωνα εχθραινει , φυσικων τινων, οιμαι,ανδρωνκαι θεολογων προς μεν τους βεβηλους τας εγκατεσπαρμενας τουτοις υπονοιας μη παραγυμνουντων , αλλ᾽ εν ειδει μυθου προκατηχουντων , τους δε εποπτικωτερους και ανακτορων εντος τῃ πυρφορῳ των οντων λαμπαδι φανοτερον τελουντων. (9. 9. 12-5)

فتصادف حدوث ذلك وقد بدأ أثناء تغيرات مناخية في فصل الصيف عيدُ النيل ، أعظم احتفال عند المصريين ، والذي يتم عندما يظهر النهر في بداية زيادته ، ويحظى لدى المصريين بأهمية كبيرة تفوق كل الاحتفالات الأخرى، وذلك للسبب الأتي. يجعل المصريون من النيل إلهاً ويعتبرونه الأعظم من بين قوى الطبيعة ، مقدمين له كل مظاهر الإجلال والاحترام بوصفه شبيهاً بالسماء ، وذلك لأنه يروي لهم (الأرض) دونما ثمة سحابات أو أمطار أو عواصف من طبقات الجو العليا ، كما أنه دائماً ما يفيض لهم بالرطب كل عام بانتظام. وسواد الناس يعتقد في وجهة النظر هذه. وهم في الوقت ذاته يضفون عليه مظاهر الألوهية للأسباب الآتية. إنهم يعتقدون أن اجتماع الرطب باليابس هو السبب في أن يحيا البشر، وقد زعموا أن العناصر الأخرى تتعايش وتتواءم معاً بفضل ذلك ، والرطب يتمثل في النيل ، وأما الآخر (اليابس) ففي أرضهم. إنهم يروجون لذلك بين عامة الشعب ويعلنون للملقنين في طقوس العبادة أن إيزيس هي الأرض وأوزوريس هو النيل ،بعد أن استبدلوا الأسماء بالأشياء. على أية حال فإن الربة تشتاق له وهو غائب وتسعد عندما يجتمع بها وتندب فور اختفائه وتكره تيفون بوصفه عدواً ، بينما لا يفصح ،فيما أعتقد، رجال من الطبيعيين واللاهوتيين لمن لم يتم تطهيرهم عن المعنى الضمني في هذه الأشياء ، وإنما يبادرون بطرحها في شكل أسطورة ، في حين أنهم يلقنونها بشكل أكثر وضوحاً لمن هم أرفع منزلة داخل جدران المعابد في ضوء المشعل الذي يتأجج ناراً في يد الحاضرين.

ثم يتمنى أن لا يمثل ما قاله نوع من عدم التقوى ، ويتعهد بأنه "سوف يلتزم الصمت بدافع التقوى عما هو أكثر سرية" (τα μυστικωτερα δε αρρητῳ σιγῃ τετιμησθω) ، خلال اكماله ما تبقى لما حدث في سياني (των κατα Συηνην εξης περαινομενων). ثم يصف الجزء الثاني من المعركة ، حيث تتم هزيمة الفرس. يحاول أخيمينيس اغتيال أورونداتيس فيُقتل على يد أحد الجنود الإثيوبيين. ويُتأى بأورونداتيس جريحاً إلى هيداسبيس الذي يحسن معاملته ويأمر بمعالجته. ثم يشرح كهنة سياني بعض الأشياء الخاصة بالنيل لهيداسبيس. ثم يُعرض أبطال المعركة عليه. ويمثل كل من إثاجينيس وخاريكليا أمامه. وتقرر خاريكليا أن لا تبوح بالحقيقة له الآن ، فلكل حادث حديث. يكرم هيداسبيس وفادتهما بعد أن انتابته دهشة من الفتاة التي رأى في منامه أنه أنجب بنتاً تشبهها. ويقرر التضحية بهما عند العودة إلى بلده إثيوبيا. ويمثل أورنداتيس بين يدي هيداسبيس مرة أخرى فيكرمه ويبقى له على وليته ويرسل معه برسالة سلام إلى ملك الفرس. فيشكره أروندتيس شكر الوالي لمولاه الملك. [الكتاب العاشر] يعود هيداسبيس إلى إثيوبيا ويضحي للنيل في طريق عودته ويرسل خطاباً لرئيس الفلاسفة العراة وآخر لزوجته. تقرأ الزوجة الخطاب وتتذكر حلماً رأت فيه أنها أنجبت فتاه في مقتبل الشباب. يتم وصف ميروي التي تقع على النيل والاستعدادات لاستقبال الملك. ثم يوصف مشهد الأضحية. تقدم خاريكليا ما يثبت أنها ابنة الملك ، كما يقوم ثياجينيس بمآثر بطولية. وتحت إلحاح من الفلاسفة العراة والشعب يقرر الملك عدم التضحية بهما.

ويمكننا أن ننظر إلى هذه الإشارة في الفقرة التي وردت ترجمتها من الكتاب التاسع وعلاقتها ببناء الرواية ككل في ظل معطيات ثلاثة : ١- ما يميز هذه الفقرة من حيث كونها الدرجة الأولى من القص (ما يرويه المؤلف مباشرة). بل أن هذا التميز يتزايد عندما يعلن الراوي نفسه (المؤلف) أنه على وعي بذلك وباعتذاره الصريح عن البوح بمثل هذه الأشياء وتعهده بأنه سوف يلتزم الصمت فيما هو أهم من ذلك ، وهو ما يعطي انطباعاً بأنها تأتي كتعليق من الكاتب نفسه خارج نطاق القص (أو ما يمكنني أن أطلق عليه εκτος διηγησεως). وربما يكون هذا التميز هو ما دفع Morgan إلى اعتباره هذه الفقرة من رواية هيليودوروس أهم الأمثلة على تبني هذا المؤلف أسلوب كتاب التاريخ (historiographical mannerism) ،وهيرودوت على وجه التحديد، في الاعتذار عن الخوض في أسرار العبادات وتعهد التزام الصمت[9].٢- ما يبدو في الرواية كلها من إصرار هيليودوروس على أن تربط كل جزء من أجزاء روايته ثمت علاقة بالكل[10]. ٣- ما يبدو عند هيليودوروس من شدة تأثر بالأدب اليوناني على امتداده من قبله (وخاصة الملاحم الهومرية[11] والدراما ،لاسيما اليوريبيدية[12]). وتتأكد هذه المعطيات الثلاثة فيما يرويه ياترومانولاكيس Γιατρομανωλακης عن عالم اللغويات اليوناني كورايس من أن تقنية الإثيوبية توازي بناء القصائد الدرامية كما تم تحديدها عند أرسطو. فكما أن للمسرحيات عقدة وحل وانقلابات وتحولات وفصول من الأحداث ، فإن نفس الشيء يحدث في الإثيوبية. ومن وجهة النظر هذه فإنها تعد " الأكثر تقنية من بين كل الروايات اليونانية الباقية. فالمؤلف يبدأ القص من المنتصف ،أو لنقل ، من أحشاء الحكاية ، من تلك اللحظة التي يصل فيها ثياجينيس وخاريكليا إلى مصر أسرى. ويشبه ذلك بداية ما تعرض له أوديسيوس من أقدار ،عندما رحل من طروادة ، كما ورد في الكتاب الثامن من الأوديسيا.هذه التقنية تظهر في فصول أحداث الإثيوبية أيضاً كلها تقريباً.[13]

وإذا ما أخذنا في الاعتبار علاقة التأثر هذه التي تربط رواية هليودوروس بالأجنلس الأدبية اليونانية ذات الحبكة مثل ملاحم هوميروس والدراما ، ولاسيما تراجيديات يوربيديس ، لبات من اليسير أن نتحدث عن ثمة تناظر محدد ؛ فهناك علاقة واضحة بين الإشارات الأسطورية المتناثرة في تراجيديا ما ، لا سيما تلك التي ترد على لسان الكورس وكانت ذات دلالات شعائرية، والحدث الدرامي لهذه التراجيديا[14]. وهذه العلاقة يمكن أن نجد نظيراً لها في العلاقة ما بين الإشارات الأسطورية المتناثرة في هذه الرواية ، والتي تندرج تحتها هذه الإشارة إيزيس وأزوريس، والحدث القصصي لهذه الرواية. هذا التناظر يكتسب مزيداً من المعقولية من كون هذه الإشارات ترد غالباً في كلتا الحالتين على لسان طرف محايد ؛ هو في التراجيديا الكورس وفي الرواية الراوي نفسه في الضمير الثالث (وهو ما يمثل الدرجة الأولى من القص طبقاً لدرجات القص التي أوردناها أعلاه ،

وليس إحدى الدرجات الأخرى التي تشارك إحدى الشخصيات فيها بالقص في الضمير الأول أو يرد فيها تلخيص الحدث)[١٥]. والجدير بالذكر أن هذا الضمير الثالث يعد –كما يشير Morgan- أحد أهم أوجه الشبه بين الرواية والكتابة التاريخية (historiography التي تتصل جذور الرواية بها وفقاً لمعظم الآراء)، على الرغم من أن قص السيرة الذاتية في ضمير المتكلم متاح في كليهما[16].

وربما كان بإمكاننا ان نوضح هذا التناظر بشكل عملي من خلال البحث داخل الرواية عن صدى هذه الفقرة التي وردت في ثنايها الإشارة إلى عناصر من أسطورة إيزيس وأزوريس. فهذه الإشارة التي وردت في إطار حديثه عن احتفالات النيل تنطوي على ثلاثة عناصر هامة يمكن ربطها بمكونات الرواية : وهي الحب والوفاء ، العداء والصراع ، السرية والكهانة. ويمكننا كشف صدى لهذه العناصر في مكونات بناء الرواية الأساسية ، والتي تتألف من قصة محورية ، هي قصة الحبيبين ، وقصتين فرعيتين ، هما قصة الأبن وزوجة الأب (كنيمون وديمينيتي) والأخوين المتصارعين (ثياميس وبيتوسيريس).

ثانياً : صدى عناصر الأسطورة في قصة الحبيبين:

وتمثل هذه القصة الحدث المحوري في الرواية ، كما وردت في درجات القص الخمس التي سبقت الإشارة إليها في الملخص.ولقد حاول Winkler ربط هذه الإشارة إلى احتفال النيل بهذه القصة المحورية في سياق حديث عام حول التغيرات المناخية وقصة البطلة. وهو إن هناك إشارات لمعنى كوني أكثر عمقاً يكمن في النفي الرومانسي والعودة إلى إثيوبيا.ويشير ويكلير إلى عدد من نماذج التوافق الزمني التي لا تعد مجرد مصادفات : (أ) فلقد تم حمل خاركليا بأمر إلهي في ظهيرة يوم من أيام الصيف ، كما توافق عودتُها الانقلاب الصيفي. (ب) ولقد كانت منابع النيل على الحدود الإثيوبية الليبية ، حيث يلتقي الشرق بالجنوب؛ وطبقاً لطبيعته الفريدة فإنه يزداد في الصيف لأن الرياح السنوية تقود السحب في الانقلاب الصيفي من الشمال إلى الجنوب. (ج) تسمى التغيرات السنوية في حركة النيل "زيادة" (αυξησις) و"عودة" أو "هبوط" (υπονοστησις). (د) إن التحول الفريد للنيل حول سياني يؤدي من ناحية إلى زيادة طفيفة في ماءه في منتصف الليل ومن ناحية أخرى إلى أن يظهر عند الفجر أن مياهه تعود إلى مستواها الطبيعي. (ه) تسمح هذه "العودة" للنهر لأهل سياني بإن يحتفلوا بسعادة بوفاء النيل ، مهرجان ظهور فيضان النهر أثناء الانقلاب الصيفي ، وهو الحدث الذي يربطونه بمغزى طقسي سري على مستويات عدة – زراعية وعلمية ورومانسية أسطورية ، بالإضافة إلى مستوى آخر أكثر عمقاً - تعكسه بطريقة تلقائية. ومن هذه العناصر يستطيع القارئ الماهر أن يشرع في تصور نماذج كونية ، كرحلة خاريكليا شمالاً وعودتها جنوباً ، والتي تعيد عرض زيادة النيل والعودة إلى الوطن في نوع من الانسجام أو التقابل ؛ ومثل نقاط التحول الهامة لليوم (الفجر، الظهيرة، الغروب، منتصف الليل) ، والتي تمثل نماذج لحركة الشمس عبر السماء وحركة خاريكليا عبر الارض،وما إلى ذلك. لكن هذه إشارات مضنية تستعصي على صياغة دقيقة.[17]

لكن ما نرمي إليه في هذا الجزء من البحث هو إظهار هذه العلاقة بين هذه الفقرة - بما تحويه من إشارة إلى إيزيس وأوزوريس - وأحداث الرواية ككل في إطار تفصيلي أكثر تحديداً. إن اثنين من العناصر الثلاثة لهذه الأسطور كما وردت في هذه الفقرة يظهران بشدة في قصة خاريكليا وثياجينيس. فالحب والوفاء والبحث المستديم عن الحبيب يعد عنصراً واضحاً في كلتا الحكايتين. "إن الربة (إيزيس) تشتاق له (أوزوريس) وتسعد عندما يجتمع بها وتندب فور اختفائه وتكره تيفون بوصفه عدواً". ويقوم هذا التماثل المشار إليه في هذه الفقرة بين الأرض وإيزيس وبين أوزوريس والنيل على التجسد أو التشخيص. وبناء على ما ورد عند هيليودوروس من معلومات، يبدو أنه قد استقاها - كما يشير Sandy [18]- ممن سبقوه من كتاب يونانيين ، فإنهم "يعلنون للملقنين أن إيزيس هي

الأرض وأوزوريس هو النيل". ومعنى هذا أن هناك دائرة أسطورية (طرفيها إيزيس وأوزوريس) تعبر بشكل مجازي عن دائرة طبيعية (طرفيها الأرض أو اليابسة والنيل أو الرطب ؛ وهذه الدائرة المتكررة تتمثل في : الاشتياق "ποθος " للقاء – السعادة "χαρα "عند اللقاء – الندب "θρηνος" عند الفراق – العداء "εχθρα" تجاه عدو الطرف الثاني لهذه الدائرة. وهذه الدائرة يمكن أن تجد ما يشابهها في حدث الرواية الرئيس ، والذي يتمثل في سلسلة متكررة من اشتياق بطلي الرواية لبعضهما وسعادتهما عند اللقاء وندبهما عندما يخيم شبح الفراق بينهما ، بالإضافة لكراهيتهما لطرف ثالث عادة ما يكون السبب وراء هذا الفراق. ولا يتوقف هذا التشابه عند حد نسيج الرواية كحدث فحسب بل يتعداه إلى نسيجها كنص ؛ حيث يتم التعبير عن آلام الحبيبين في كل دائرة بكللمات وتعبيرات متشابه مع الدائرة التي تليها ومتشابهة مع ألفاظ الألم الأوزوري كما ورد في الفقرة موضوع الدراسة.ولنستعرض هذا تفصيلياً في أحداث الرواية طبقا لترتيبها الزمني ، وليس ترتيب الرواية (كما ورد في الملخص) :

يبدأ سرد قصة الحب بين خاريكليا وثياجانيس على لسان كلاسيريس (كاهن إيزيس الذي رحل إلى دلفي) في الكتاب الثالث والرابع والخامس. لقد وقع كل من خاريكليا وثياجينيس في الحب لأول وهلة ، عندما رأى كل منهما الآخر في الموكب الاحتفالي في دلفي. فما لبث أن احمر وجهاهما من الخجل ، ثم عادا للشحوب " وقد سيطرت العاطفة على قلبيهما" (του παθους ..... την καρδιαν επιδραμοντος ٣. ٥. ١٧-١٨). والأمر الذي لا يخلو من دلالة هو أن هذا اللقاء بين الشاب والفتاة لأول مرة في هذا المشهد النمطي يتم وصفه – على حد تعبير Winkler - بأسلوب طقسي ورقة سيكولوجية. فثياجينيس هو الذي يقود بعثة الإنياديين في دلفي كي يقدم الأضاحي تكريماً لنيوبتوليموس في الألعاب البيثية ؛ وكاهن أبوللون هو خاريكليس وأبنته بالتباني خاريكليا هي المساعدة الذي تحمل المشعل.[١٩] بعدها " ينفصل ثياجينيس عن الفتاة" (της κορης αποσπωμενος ο θεαγενης ٣. ٦. ٣٠-٣١)، وينفض الموكب. وعندما يذهب كلاسيريس وخاريكليس إلى خاريكليا يجدانها في مخدعها "مضطربة وعينيها مبللتين من شدة الجوى"(αλυουσαν και τους οφθαλμους τῳ ερωτι διαβροχους ٣. ٧. ٣٠-٣١)[٢٠]. ثم يروي ثياجانيس لكلاسيريس كيف "أنه يتحرق من الشوق" (υπο του ποθου φλεγεσθαι ٣. ١٧. ١٥) مذ أن عرف الجوى لأول مرة.وعندما رأت خاريكليا ثياجينيس ثانية "استعبدها الشوق بشكل أكثر حدة" (δεδουλωτο τῳ ποθῳ πλεον ٤. ٤. ٣٢).وفي نفس الوقت تعبر عن أن القبر أحب إليها "من الزواج من الكامينيس" (Αλκαμενει ... η γαμου ٤. ١١. ٣٠-٣١) الذي كان خاريكليس يصر على زواجها منه[٢١] ؛ فهي تكرهه لأنه سوف يتسبب في ابتعادها عن ثياجانيس. وعقب هروب البطلين من دلفي برفقة كلاسيريس تعرف السعادة طريقها إليهما :حيث "قضوا في البداية فترة الشتاء في جو من الود"(ουκ αηδως χειμεριον ωραν τα πρωτα διηνυομεν ٥. ١٨. ١٥-١٦) في بيت مضيفهم.

لكن ما يلبث شبح الفراق بين الحبيبين أن يسيطر على الأجواء ، بعد أن علم كلاسيريس العاطفة المحمومة التي تملكت تراخينوس تجاه خاريكليا.وفي أثناء إبحارهما ينقض هذا القرصان على السفينة ، فيعد العدة للزواج من البطلة ، لكنها تعرب عن أن الموت أحب إليها من الزواج منه قائلة أن انشغالي بك (كالاسيريس) وثياجينيس هو الذي "يعود بي إلى الندب ، إذ أنني سوف أفارقكما قبل النهاية"(προ το τελους χωρισθησομαι, προς θρηνους κατηγαγε ει ٥. ٣٠. ١٠-١١).وبعد تقاتل القراصنة مع اللصوص ،الذين هاجموا السفينة بعد رسوها على شاطئ النيل، يرى كالاسيريس خاريكليا وهي تندب (θρηνουσαν ٥. ٣٤. ٩) ولا يمنعها من الانتحار سوى أملها في أن يكون حبيبها قد نجى.

وينتقل القص للضمير الثالث (الراوي الأساسي) من بداية الرواية في الكتاب الأول. فبعد أن تكتشف خاريكليا نجاة حبيبها تقول له – معبرة عن مدى حبها له وسعادتها بنجاته- أن "عليك تتوقف نجاتي من عدمها" (εν σοι..τα εμα ..σωζεσθαι τε και μη ١. ٢. ٩-١٠)[٢٢]. وعندما ترى عصابة اللصوص ، التي يتزعمها ثياميس، خاريكليا يحسبونها إحدى الربات ، أرتميس أو "إيزيس المعبودة في أرضهم" (την εγχωριον Ισιν ١. ٢. ٢٢).وبعد أن يقع البطلين في براثن عصابة اللصوص يرد أن ثياميس –زعيم هذه العصابة- يرى حلماً مفاده أنه قد أتى "معبد إيزيس" (τον νεων της Ισιδος ١. ١٨. ١٤-١٥) ، فتأتي له هذه الربة وتسلم له خاريكليا قائلة له "إنك سوف تملكها ولا تملكها، وسوف تقتل ضيفتك ظلماً ، ومع ذلك فهي لن تُقتل". وهذا الكلام الذي تنطق به إيزيس في الحلم يعد في الحقيقة تفسير كامل لما سوف يحدث للبطلة عقب هذا الحلم. فالتفسير الصحيح لهذا الحلم الذي يأخذ شكل النبوءة الدلفية– على حد تعبير أحد الدارسين – يكمن في مراوغة (سوف تقتل الخادمة ثيسبي وليس البطلة خاريكليا)، وهذه المراوغة هي التفسير الحقيقي للحلم: سوف تتوجه إلى (خاريكليا) خطأ (بنية قتلها) ، وسوف تقتل امرأة أجنبية (ثيسبي) في حين أنها (خاريكليا) لن تُقتل.[23] وربما يشير هذا الحلم من طرف خفي إلى أن الربة تقف إلى جانب البطلة التي سبق وشبهت بها كما أشرنا من قبل. وإذا ما أخذنا في الاعتبار هذا التفسير المنطقي للحلم –وليس التفسير الذي أراده ثياميس – فإننا يمكن أن نجد وجه شبه كبير بينه بوصفه حلم تنبئي – ومن حيث وظيفته وأسلوبه الملغز وصداه في بقية الرواية – وبين نبوءة أبوللون في كولوفون التي تنبأ بمصير أنثيا وهابروكوميس في رواية الإفيسية لاكسينوفون (التي تلعب فيها إيزيس وعبادتها دوراً مهماً وواضحاً جعل ميركيلباخ يعدها تمجيداً لإيزيس إلى جانب رواية تاتيوس) ، وحيث تُختتم بعبارة يُشار فيها إلى أن بطلي الرواية "سوف يقدمان إلى جانب مجرى النيل هدايا ثمينة لإيزيس المنقذة المبجلة ؛ ولكن بعد المعاناة يظل مصيراً أفضل في الغيب مخبأً" [24]. كما أن هذا الحلم بهذا الشكل ربما أشار إلى الدور الإيجابي الذي سوف يلعبه ثياميس في الحفاظ على حياة البطلة – بشكل غير متعمد- عندما أخفاها في الكهف ، وبشكل متعمد عندما عاملها برأفة بعد استرداده منص كهانة إيزيس بناءاً على وصية أبيه كلاسيريس. ولكن ، وعلى أية حال، فإن ثياميس – فور رؤيته لهذا الحلم الغامض - يأوله على هواه ، ويصر على الزواج من خاريكليا ، ويحلق شبح الفراق بين الحبيبين ثانية.ويدخل ثياجينيس على خاريكليا باكياً ، فتسأله ما إذا كان "يندب لما حل بهما من مصائب" (κοινα ταυτα θρηνει ١. ٢٥. ١٢-١٣)[٢٥].ثم يشار إلى خاريكليا التي "ما انفكت تتنتحب" (οδυρομενην ١. ٢٨. ١٤). وعندما يظن ثياجينيس أن حبيبته قد ماتت ويحاول الانتحار ، ينتزع كنيمون السيف من يده متعجباً "لماذا تندب على امرأة لا تزال حية" (τι την ουσαν θρηνεις ٢. ٢. ٣).وبعد معرفة كلا البطلين بأن كل منهما مازال على قيد الحياة يعرب الراوي – معلقاً على سعادتهما بالقاء ومتنبئاً بما سوف يأتي من فراق وبين– أن "بلوغ السعادة غالباً ما ينقلب إلى ألم"(το χαρας υπερβαλλον εις αλγεινον περιεστη πολλακις ٢. ٦. ٢٣-٢٤)[٢٦].

ويتحقق هذا التوقع ويقع البطل في يد ميترانيس (قائد الحامية الفارسية) ، فتأبى خاريكليا أن تفارق حبيبها ؛ فلو كانت لتموت "فليكن بين يديه" (εν χερσι ταις εκεινου γινοιτο ٥. ٧. ٢٣).لكن الفراق يتم بين ثياجينيس الذي بقي في يد القائد وخاريكليا التي اصطحبها ناوسيكليس معه إلى بيته. ويستمع كنيمون مصادفة إلى خاريكليا "وهي تندب" (θρηνουσαν ٥. ٢. ٢٠)[٢٧] على فراق حبيبها. وعندما يلتقي الحبيبان بعد لأي - فور أنتهاء معركة ولدي كلاسيريس - يحتضن كل منهما الآخرفي مشهد يعبر عن شدة الشوق (٧. ٧. ٣-١٧). وفي الحق أن هذه النقطة من الرواية تعد تعبيراً عن الالتئام المؤقت لشمل البطلين. فثياجينيس وخريكليا –كما يشير Hagg- قد اجتمع شملهما مؤقتاً ويقيمان في قصر الستراب الفارسي.[٢٨] لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن ، ففور توجه

البطلين بصحبة الخادمة كيبيلي إلى قصر أرساكي (زوجة الوالي) –التي لم تكن حسنة النية- يشير الراوي إلى أن الحظ – بعد أن أراحهم وتركهم يرفلون "في السعادة" (εις χαραν) لساعات – قد شاء أن يتبع ذلك ما يحزنهم.

وتراود أرساكي ثياجينيس عن نفسه من خلال المربية ، فتحاول خاريكليا أن تقوي من عزيمته مشيرة إلى أن ما يخفيه الحظ لهما من "محاسن الصدف" (τα ευτυχηματα) يسبب لهم ألماً (κακως πραττειν ٨. ٢١. ١٤-١٥) أشد من السرور الظاهري. وتصر أرساكي على أن يكون ثياجانيس لها والفتاة لأخيمينيس ابن الخادمة كيبيلي. وإزاء رفضهما الإنصياع لهذه الرغبة يتعرضان للتهديد والوعيد والحزن الشديد. ويُحكم على الفتاة بأن تلقى في النار بتهمة قتل الخادمة فتتضرع لإله الشمس "هيليوس" (ηλιος) فيتم انقاذها. ويعلم الوالي (أورونداتيس) بما كان من أمر زوجته ، ويرسل باجواس لإحضارهما إليه في سياني. فيلتئم شملهما ويعلمان في الطريق بما حل بأرساكي من عقاب "فيسعدان" (εχαιρον ٨. ١٥. ٢٩).

وتقوم قوات الملك الإثيوبي (هيداسبيس) بأسر الشاب والفتاه. ويقرر أن يقدمهما أضحية دون أن يعرف أن الفتاه إنما هي ابنته. وعندما يعلم ذلك يتم العفو عن الفتاه. لكن شبح الفراق بين الحبيبين يخيم ،من جراء الإصرار على التضحية بالشاب ثياجانيس. تحاول خاريكليا أن تسيطر على "جنون عاطفتها" (το εκμανεν του παθους ١٠. ١٩. ٢٥-٢٦) وتصر على انقاذ حبيبها ، وإلا فسوف تموت معه على نفس المذبح. فيلتئم شمل الحبيبين بعد أن يتم العفو عن البطل أيضاً.

وهكذا فإن القصة الرئيسة في الرواية تجري في شكل حلقات متتالية ، تمثل كل حلقة منها مغامرة للحبيبين ، يسعيان فيها إلى التخلص من قبضة عدو مشترك لهما (ألكمينيس – تراخينوس – ثياميس – ميترانيس – أخيمينيس). وفي كل مرة يتسبب –أو يكاد يتسبب - هذا العدو في الانفصال بين الحبيبين ، مما يخلق الشوق والندب والسعادة عند التئام الشمل.

ويمكن أن يمثل هذا الاستنتاج نقطة تقاطع بين تحليلنا هنا وبين نظرية كيريني وميركيلباخ التي سبقت الإشارة إليها في مقدمة هذه الدراسة.فلقد رأى ميركيلباخ في مثل هذا النموذج في الرواية بشكل عام نموذجاً شعائرياً: ففي الحبكات المقولبة للروايات المبكرة يرى مركلباخ تنويعات مختلفة من نفس الموضوع الواحد، أسطورة إيزيس وأوزوريس المصرية. فالانفصال والتيه والمحاكمات والموت المفاجئ وجمع الشمل النهائي للحبيبين يعكس نموذج الأسطورة: فإيزيس قد طافت بالعالم كله بحثاً عن زوجها أوزوريس الميت ، وفي النهاية تجده وترجعه للحياة. وفي طقوس إيزيس السرية رمزت أسطورة بحث إيزيس عن أوزوريس إلى رحلة الإنسان عبر الحياة ، عبر الأخطار والاطرابات وحتى الإنقاذ النهائي.ويتتبع ميركيلباخ عن قرب تطورات كل قصة غرامية في الروايات اليونانية القديمة فيجد أن الخطة المتكررة "العشق – الفراق – اللقاء" تمثل بالنسبة للملقنين قصاً سرياً أو مجازياً لقصة الربة إيزيس. لكن منتقدي هذه النظرية يرون أن هذا النموذج ليس إلا نموذجاً منطقياً: وبشكل أكثر تحديداً فإن نموذج "الحب – البين –اجتماع الشمل" يعد وجوده منطقياً في أي قصة حب ذات نهاية سعيدة : فموضوع البحث يتبع منطقياً موضوع البين ،والمؤلف يمكن أن يستقي من الحياة الواقعية عن المغامرات الغرامية ونتائجها دون ثمة انعطاف عبر الأساطير المصرية.[٢٩] لكننا في هذه التقاطع نؤكد على بعض أوجه الاختلاف بين عناصر هذه النظرية وبين ما نرمي إليه هنا. أولها هو ما سبق وأكدنا عليه وهو أننا نتحدث عن نموذج بعينه في رواية الإثيوبية وليس على نموذج عام أو مشترك بين الروايات. ثانياً ، أننا هنا لا نقصد ثمة ربط بين هذا النموذج ونموذج شعائري أو تلقيني. ثالثاً ، أننا هنا لسنا بصدد الربط بين هذا النموذج والنموذج الأسطوري خارج الرواية ؛فالجدير بالذكر هو أن هذا النموذج المتكرر في أحداث الروايه هو أقرب إلى النموذج الأوزيري كما ورد في الفقرة موضوع الدراسة من الرواية ، وليس في الأسطورة الأوزيرية كما وردت في مصادرها

الأخرى. فطبقاً للأسطورة الكاملة كما رواها لنا بلوتارخوس[٣٠] تلملم إيزيس أشلاء أوزوريس بعد أن مزقه تيفون وتجتمع به ، لكن تيفون لا يلبث أن يسرق تابوته ويرمي به في النيل، بعدها لا تخبرنا الأسطورة أن إيزيس التقت به أبداً. وإن دل هذا فإنما يدل - في رأي - على أن هيليودوروس قد طوع الإشارة الأسطورية في هذه الفقرة حتى تلائم قصة البطلين التي تعد القصة الرئيسة والخيط المحوري لأحداث الرواية كلها. رابعاً أن التشابه الذي نرصده في تحليلنا هذا لا يقوم – كما سبق وأشرنا- على نسيج الرواية بوصفه حدثاً مجرداً (الحب – البين –اجتماع الشمل) فحسب(وهو ما وجهت إليه سهام النقد من منتقدي النظرية المشار إليها) بل بوصفه ألفاظاً ذات دلالات متشابهة أيضاً ؛ ذلك أن "الاشتياق" و "السعادة" والندب" كلها ألفاظاً تتكرر في كل حلقات الرواية لتصف حال البطلة ، تماماً كما تصف في الفقرة موضوع الدراسة حال إيزيس.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن حلقات قصة الحبيبين المحورية هذه تمثل الحدث الرئيس في الرواية ، فإن الطابع الأوزيري لهذه الحلقات يمثل صداً في حدث الرواية نفسه. هذه الصدى الأوزوري في الحدث يؤيده صد أوزوري آخر – على درجة كبيرة من الأهمية - في مكان الرواية وزمنها. فحاضر الرواية كله يسير من أوله لآخره مع النيل - الذي هو أوزوريس (طبقاً "لاستبدلهم الأسماء بالأشياء" كما ورد في الفقرة)- من أوله إلى آخره أيضاً (طبقاً للتصور الجغرافي في الرواية[31]) . فمطلع الرواية يصف مشهداً على مصب النيل الهيراقليوتيقي حيث يقع الحبيبين في يد جماعة من اللصوص. ثم يتحرك الحدث إلى الجنوب قليلاً بمحاذات النيل ، حيث تقطن عصابة اللصوص التي يتزعمها ثياميس . وهناك يقع ثياميس في حب البطلة ويفترق الحبيبان ثم يلتقيا في الكهف. ثم يتجه جنوباً في محاذات النيل إلى خيميس ، حيث يقع الحبيبان في يد ميترانيس ثم ينفصلا بسبب اخذ نوسيكليس لخاريكليا. ثم يتجه إلى قرية بيسا حيث تلتقي خاريكليا وكالاسيريس بالمرأة المصرية وتخبرهم عن ذهاب ثياجانيس مع اللصوص من أهل القرية إلى منف. ثم يتجه جنوباً بمحاذات النيل إلى منف ، حيث تلتقي خاريكليا بثياجينيس ويهددا بالانفصال على يد أرساكي ثم ينجوان منها. ثم يتجه الحدث جنوباً بمحاذات النيل تجاه سياني حيث يقع البطلان في يد الإثيوبين. ثم يتجه إلى سياني حيث يلتقي الحبيبان بهيداسبيس. ثم ينتقل الحدث إلى إلى الجنوب قليلاً حيث يضحي هيداسبيس - وهو يصطحب معه الحبيبين - للنيل. ثم يتجه الحدث إلى ميروي عاصمة إثيوبيا التي ينته النيل عندها(فهو ينبع منها[32]) ، حيث يتم التعرف على خاريكليا ويجتمع شمل الحبيبين إلى الأبد فتنتهي الرواية. هكذا يبدأ الحدث ويصعد مع النيل حتى يبلغ ذروته مع ذروته وينتهيان معاً.

وربما مثل هذا الاستنتاج نقطة تقاطع أخرى بين تحليلنا ونظرية ميريلباخ سالفة الذكر. فلقد لاحظ ميركيلباخ بعداً جغرافياً ذا دلالة دينية في مسيرة خاريكليا:وكل مرحلة من رحلتها - من دلفي إلى زاكينثوس ثم إلى فم النيل ثم إلى منف ثم إلى أعلى النهر- تأتي بها خطوة إلى الجنوب تجاه إثيوبيا ,ويحدث هذا بالصدفة من الناحية الظاهرية لكنه في الواقع يحدث تحت رعاية إله الشمس: فالحياة هي المعاناة التي يعود من خلالها الإنسان إلى أبيه في السماء[٣٣]. بيد أننا نؤكد هنا أيضاً على بعض أوجه الاختلاف. أولها هو أن البعد الجغرافي الذي تتحدث عنه يتمثل في النيل فقط ، كما يخص فقط حاضر القص –والذي يبدأ منذ أن تطأ قدم أبطال الرواية أرض مصر- وليس ماضي الرواية ككل ، والذي لا يدخل فعلياً ضمن زمن الرواية. وذلك على الرغم من أن ماضي الرواية (ما يقصة الراوي أو شخصيات أخرى في الرواية عن ما حدث في الماضي) لا يخلو من إشارات إلى النيل ، لكنها إشارات وصفية[٣٤] أو تنبؤية استشرافية تشير إلى المستقبل (الذي هو حاضر القص بعينه)[٣٥] ، وعلى غرار ما يمكن أن نجده في رواية أخيليس تاتيوس *عن ليوكيبي وكليتوفون*[٣٦] . ثانياً ،أن ثمت علاقة نصية (طبقاً لنص الرواية) تربط بين النيل(المساحة الجغرافية التي نقصدها) وأوزوريس ، بوصفهما رفيقين للأرض وإيزيس التي تتشابه مع البطلة وتعضدها في مسيرتها. وهي رفاقة من شأنها أن تضفي على البطل أيضاً طابعا أوزورياً نيلياً. وهو طابع قد بلغ أوج صراحته في

العلاقة بين البطل والنيل في رواية *الإفيسية* لكسينوفون[٣٧] ، كما تظهر دلالته - في شكل أقل وضوحاً- في خاريتون *عن خايرياس وكاليروي* [٣٨]. بالإضافة إلى ذلك ، فإن هذا التأييد الأوزيري للحدث من قبل المكان يرافقه تأييد مماثل من قبل الزمان : فالنيل- اوزوريس هو تعبير عن الزمان أيضاً كما ورد في الرواية صراحة: فالنيل يميز فصول السنة ، الصيف بالفيضان ، والخريف بانحصار مياهه ، والربيع بالورد الذي ينمو فيه ووضع بيض التماسيح ؛ فالنيل ،بكلمة واحدة ، "ليس بأقل من السنة نفسها" (ουδεν αλλ᾽ η τον ενιαυτον ..ειναι τον Νειλον ٩. ٢٢. ٢٢-٢٣) ، وتشهد على ذلك "حروف اسمه التي تبلغ ، إذا ما تحولت إلى أرقام ، عدد ثلاثماءة وخمسة وستين ، أي ما يعادل مجمل أيام السنة" (των γουν κατα τουνομα στοιχειων εις ψηφους μεταλαμβανομενων,πεντε και εξηκοντα και τριακοσιαι μοναδες,οσαι και του ετους ημεραι συναχθηνονται ٩. ٢٢. ٢٤-٢٧)[39].

وإلى جانب عنصر الحب والوفاء هذا وصداه في بناء القصة المحورية يأتي دور كلاسيريس ، كاهن إيزيس،الذي يلعب دوراً محورياً في هذه الرواية. إن مسألة دور كالاسيريس في الإثيوبية هي – كما يعتقد Sandy - مسألة رئيسة لفهم هذه الرواية، وإدراك براعة هيليودوروس وفهم أي وازع فلسفي وديني يجسده هذا العمل.[40] إن جنسيته كمصري[٤١] ووظيفته ككاهن للربة إيزيس[٤٢] يأهلانه للعب مثل هذا الدور. يضاف إلى ذلك اسمه ذي الصدى الأوزيري والذي يعني ثوب الكتان الذي يتم ارتدائه من قبل الملقنين في الطقوس المصرية[43].

ويقوم دور كلاسيريس البالغ الأهمية هذا على ثلاث دعائم رئيسة تجعله أقرب الشخصيات إلى تحقيق مأرب المؤلف نفسه.

أولها انه يروي حوالي ثلث الرواية تقريباًعن طريق الارتجاع (flashback)الفني[٤٤] . وهذا القص يشمل كل ماضي بطلي القصة : فهو الذي يروي ماضي قصة الحبيبين كلها منذ بدايتها مروراً بلقائهما في دلفي وحتى مقدمهما إلى مصر في طريقهما إلى إثيوبيا.وهذا العنصر يأتي على درجة كبيرة من الأهمية لتحقيق خطة المؤلف الروائية التي تقوم على أساس شديد التعقيد من القص والقص الارتجاعي الذي كان لشدة تعقيده – في رأي البعض- أثراً سلبياً. فالإثيوبية – كما يشير Reardon - فريدة بين الروايات اليونانية في تقدم الأحداث ،ليس بطريقة مباشرة ولكن عن طريق الارتجاع الفني. وهذا الارتجاع الفني أكثر تعقيدا مما هو عليه في الأوديسيا التي تمثل له النموذج الذي احتذى به؛ أما على مستوى الحدث فإن تعقيداته تفوق المؤلف نفسه ،ذلك أن هناك صدعاً أساسياً في بناء هذه القصة. لكن هذا الصدع هو نتيجة مباشرة للمحاولة الفاشلة لإحداث توتر وحركة للأمام في الحبكة ، وهو التوتر والحركة الأمامية اللذين كان الهدف من ورائهما تسيير القصة إلى نهاية يتم استقبالها بشكل إيجابي ،وليس كالخاتمة عند اكسيونيفون أو خاريتون التي هي مجرد خاتمة رسمية. [45]

وثانيها أنه يقوم بدور حائك القصة داخل القصة أحياناً كما لو كان هو العقل المدبر الذي يحقق المؤلف خطته من خلاله: إن كلاسيريس يذهب إلى دلفي بناءاً على طلب من الملكة برسينا ملكة إثيوبيا كي يأتي لها بابنتها (٤. ١٢).[٤٦] وعندما يذهب إلى دلفي وتبدأ أحداث الرواية الحقيقية نحس وكأنه هو الشخص الوحيد من بين كل الشخصيات الأخرى الذي يفهم كل ما يدور. لقد استطاع أن يصل إلى الفتاه البطلة وأن يتعرف على شخصيتها ويخبرها بحقيقتها (٤. ٨). ثم هو الذي دبر لها ولحبيبها خطة الهروب معه إلى مصر ، ثم هو الذي يتنكر هو والبطلة ليذهبا للبحث عن البطل (٦. ١١) حتى يصلا إليه في نهاية معركة ولديه. ثم هو الذي يوصي ولديه قبل موته أن يستوصوا بالشاب والفتاة خيراً (٧. ١١. ٤ ، قارن ٨. ٣. ٥.). إننا نشعر إلى هذا الحد من قصة الحبيبين أن كاهن إيزيس هذا هو الوحيد من بين كل شخصيات القصة الذي يمتلك القدرة على إدراك القصة بكل خيوطها وحل عقدها ، والجمع بين مهارة المؤلف والقارئ المثالي في نفس الوقت. إن صياغة دوره بهذا الشكل يجعلني أتفق مع Winkler فيما يراه من أن كلاسيريس هو الراوي الداهية الذي يخدع

العديد من المستمعين ومع ذلك يبدو وكأنه يحتفظ بكماله وأمانته الأخلاقية ليسخرها في خدمة العناية الإلهية. كما يجعلني اتفق معه في اعتقاده أن كلاسيريس يلعب دور الراوي (مع تقديم بعض التفسيرات) من الفقرة ٢٤ من الكتاب الثاني وحتى الفقرة ٣٣ من الكتاب الخامس ويستخدم نفس المهارة والإمكانات السردية التي يستخدمها هليودوروس في دوره كراوي لبقية الرواية . ويمثل تحليل دور تدين ومهارة كلاسيريس ببساطة تجربة لفهم خطط هيليودوروس الدينية والسردية على وجه العموم.[47]

أما ثالث تلك الدعامات التي أسس عليها المؤلف دور كلاسيريس فهي السرية ، التي هي شديدة الارتباط به بوصفه كاهناً لإيزيس ، التي يكتنف نوع من السرية أسباب طقوسها ، كما هي في الواقع[٤٨] وكما أشير إليها في الفقرة موضوع الدراسة : " بينما لا يفصح –فيما أعتقد- رجال من الطبيعيين واللاهوتيين لمن لم يتم تطهيرهم عن المعنى الضمني في هذه الأشياء". ومثلما يقوم التفسير الأدبي الأفلاطوني – كما يشير Sandy - على الاعتقاد بان الأدب الذي تعلو فيه درجة الابداع يقوم على المعنى الخفي الضمني ، فإن كالاسيريس يقدم تبريراً فلسفياً ودينياً للاحتفاظ بالحقيقة وإخفائها عن الشخصيات الأخرى في القصة.[49]

وأهم الأمثلة على السرية والكهانة اللتين اعتمد عليهما كلاسيريس في أدائه لدوره يتمثل في اكتشافه للحب الذي وقع فيه الشاب والفتاه لأول وهلة عندما التقت عيناهما في طقوس مهرجان دلفي ، وشرحه كل حركاتهم وسكناتهم ، وهو ما لم يستطع ان يفهمه الآخرون بما فيهم خاريكليس نفسه(٣. ٥). كما يتمثل في اسطاعته معرفة ما أصاب الفتاه من وهن - جراء النار التي أحرقت شغاف قلبها لعشقها ثياجينيس– وعدم أفصاحه بذلك كاملاً لخاريكليس . كما كانت لديه القدرة بما يمتلك من معرفة على قرائة ذلك المكتوب الذي يوضح قصتهاوحقيقة مولدها (٤. ٨). كما تمثلت أيضاً في رسمه خطة سرية للهرب بالشاب والفتاة من دلفي لإرجاعها وطنها.

كما أن من أمثلة كهانته قدرته على عبوره للرأى بشكل لا يخطئ مجريات الأمور. فقبيل رحيله هو وبطلي الرواية من زاكينثوس يرى في المنام رجلاً مسناً ، يلومه على أنه لم يقدم له الأضاحي على الرغم من قرب منزله من مسكنه . وعلى ذلك ، يتنبأ له بأن يعاني في البحر ما يشبه ما سبق وعاناه هو في البحر . كما يخبره بأن زوجته تبلغ خاريكليا السلام نظراً لرجاحة عقلها وتتنبأ لها بان كل شيء سوف يأتي في النهاية على ما يرام. وعندما يقوم كلاسيريس مفزوعاً من نومه ويسأله ثياجينيس عن سبب فزعه ، لا يبوح له بشيء مما رأى ، ويعهد للرجل الذي نزلوا عنده في زاكينثوس بأن يقدم الأضاحي لأوديسيوس ويسأله أن يكف غضبه الذي تملكه قبلهم لأنهم لم يقدموا له فروض الاحترام (٣. ٢٢). إن كهانة كلاسيريس قد ظهرت في قدرته على التعرف على هذا الشيخ الذي جاءه في المنام وكيف أنه هو أوديسيوس. في حين أن مبدأ السرية والتكتم قد ظهر في أنه لم يخبر أحد بتفاصيل ما رأى في هذا الحلم ، حتى أنه لم يخبر بطلي الرواية نفسيهما. إن هيليوديروس يستغل هذه الطبيعة الملغزة للرؤية إلى جانب كهانة وتكتم كلاسيريس كي يمتحن معلومات قارئه فيزيد من فضوله وتشوقه . وهذا ما تعبر عنه Morgan بإشارتها إلى أن اللغز ليطرح على لسان رجل مسن لا يتعرف عليه مباشرة ، ثم يقدم الوصف ثانية من وجهة نظر الشخصية أثناء القصة. ومع ذلك فالموقف هنا شديد التعقيد ، لأن كلاسيريس نفسه له سمتان ، فهو راوي وهو شخصية تلعب دورها فيما يرويه. وهو كراوي يدرك هوية الشخصية التي جاءته في منامه ، لكنه في تقديمه تجربته الشخصية يحذف الشرح الذي يساعد على التفسير ، ويظهر ثانية ارتباك رد فعله الأول. إنه يصف حلمه كما رآه ، وليس كما سوف يفهمه مؤخراً. ويجد القارئ نفسه ثانية أمام تحدي فك طلاسم هذا اللغز عن طريق مقارنة تفاصيل هذا الوصف بالمعرفة التي اكتسبها من مكان آخر.[٥٠]

كما أن من أمثلة قدرته على الكهانة هو قصه حكايات غابرة ذات دلالة في القصة كلها. فبعد لقاء كنيمون بكالاسيريس يقص هذا الأخير علية قصة غريبة مفادها أن هوميروس كان مصرياً ، ولد في

طيبة بعد أن جامع هرميس أمه في إحدى المعابد. وقد سمي هوميروس (Ομηρος) لعلامة في فخذه (μηρος) ولقد جاب بلاد اليونان ، وأخفى اسمه ووطنه ، إما خجلاً لأنه قد نفي من وطنه ، وإما ذكاءاً منه حتى تصبح كل المدن (التي تفخر بانها موطنه) وطناً له. ويؤكد كنيمون كلام كالاسيريس ، بناءاً على ما يميز شعر هوميروس من عنصر مصري يعتمد على "الإلغاز المختلط بكافة أنواع المتعة" (το ανειμενον τε και ηδονῃ πασῃ συγκρατον ως Αιγυπτιον ٣. ١٥. ٦-٧)[٥١]. ويعلق Sandy على هذا في سياق حديثه عن ربط الكهانة بالقومية المصرية ، فيشير إلى أن ما يُفهم من هذا هو أن هوميروس كان مصرياً وملغزاً أيضاً[52]. وفي الحق أن هذه الحكاية الغريبة لا تخلو من دلالة في واقع الرواية نفسها. فربط الإلغاز بالشخصية المصرية يمكن أن يلقي بظلاله على شخصية كلاسيريس، كاهن إيزيس، الذي يمثل النموذج الأول للشخصية المصرية في الرواية من ناحية ، والذي تتميز أفعاله بالتكتم والإلغاز[53].

كما أن من أمثلة تفوقه في الكهانة معرفته لأعمال السحر والسحرة ، وما ينبغي وما لا ينبغي في ممارستها.فبعد أن انقطعت أخبارثياجينيس عن كلاسيريس وخاريكليا -بسبب أخذ ميترانيس له لإرساله إلى الوالي الفارسي – يتنكران ويذهبان للبحث عنه فيقابلا عجوز مصرية تندب. يسألانها عن سبب ندبها ، فيعرفان منها أنها فقدت ابنها في معركة قامت بين عصابة اللصوص (التي يتزعمها ثياميس) وبين حملة على رأسها ميترانيس ، بعد أن استولى اللصوص على شاب (ثياجينيس) زعموا أنه منهم. كما يعلمان أن اللصوص قد هزموا هذه الحملة وتوجهوا إلى منف لاسترداد الكهانة لزعيمهم.ثم تقوم المرأة - وهي تظن أن أحداً لا يراها بعد أن توارى كل من كلاسيريس وخاريكليا عن نظرها- تقوم بطقوس سحرية: تحفر حفرة وتصب فيها سائل "الإراقة" من عسل وخمر ولبن. ثم تشعل نارين وتشق ذراعها بالسيف حتى تقطر منه دماً على النار. وأخيراً تفلح في إحضار روح ابنها التي تخبرها بمصيرها ومصير ابنها الآخر. كما تخبرها بمصير كل من كالاسيريس وخاريكليا. فأما الأول فإن ولديه على وشك أن يقتتلا فيقتل أحدهما الأخر إلا إذا استطاع الأب منع ذلك . وأما الفتاه فإنها سوف تلقى نهاية سعيدة بعد رحلة تعاني فيها مزيداً من الآلام[٥٤]. وطوال هذا المشهد يلعب كلاسيريس عدة أدوار ؛ فهو المترجم الذي يترجم للبطلة كل ما تقول هذه المرأة. وهو الذي يخبر هذه الفتاه بأنه لا ينبغي لمثلهما أن يرى ما تأتي به هذه المرأة من سحر. وما يلبث الابن بعد استحضار روحه أن يصدق على كلامه ، فيخبر أمه أن إتيانها بهذا السحر دون أن تأخذ حذرها من مشاهدة الآخرين لها هو عمل سوف يجلب عليها عقاب من الآلهة ، لا يخفف من وطأته إلا كون أحد الشخصين اللذين يرياها (أي كالاسيريس) كاهن تحبه الأرباب (θεοις φιλος ٦. ١٥. ٢٨-٢٩). إن أداء كلاسيريس لدوره وتنفيذه خططه وخطط الآلهة بشكل من السرية يذكرنا بالطبيعيين واللاهوتيين ،الذين أشير إليهم في الفقرة موضوع الدراسة والذين لا يفصحون لمن لم يتم تطهيرهم عن المعنى الضمني في احتفالات النيل وما يتصل بها من أساطير وطقوس.

إن قيام كلاسيريس بهذا الدور على هذه المستويات يأتي بوصفه أولاً وقبل كل شيء كاهاً لإيزيس ويصب في مصلحة البطلة. وربما يظهر ذلك من خلال الحلم الذي رأته البطلة. فبعد أن نجت هي والبطل وكنيمون من يد عصابة اللصوص التي كانت أول من استقبلهم في مصر ، وأثناء نوم ثلاثتهم ، رأت في المنام رجلاً يمسك سيفاً ويقترب منها فيقتلع عينها اليمنى. وتقوم البطلة من نومها مفزوعة على إثر رؤيتها لهذا الحلم وظناً منها أن هذا ربما ينبأ بخطر يحيق بحبيبها. لكن كنيمون يخبرها بأن هذا الحلم ينبأ بموت أبيها الحقيقي (هيداسبيس ملك إثيوبي) (٢. ١٦). ولأن كلا التفسيرين لم يتحقق في الرواية، ولأن الحلم لم يشر إليه مرة أخرى داخل الرواية ، فقد استخلص بعض النقاد أنه بلا معنى. ومع ذلك فإن Winkler يقدم لهذا الحلم تفسيراً آخر أكثر منطقية وارتباطاً بأحداث الرواية: فلخاريكليا أباء كُثر في الرواية :أب أريستوقراطي من إفيسوس ،طبقاً لأكذوبة وردت مبكراً (١. ٢٢) ؛ أبوها المزعوم خاريكليس ؛هيداسبيس أبوها الحقيقي ؛ والرجل الذي طالما دعته أباها

على مداى الرواية ،وهو كلاسيريس، من كل هولاء لم يمت سوى كالاسيريس ، وموته هو الذي ينبأ به هذا الحلم.[55] وعلى ذلك ، فإن هناك تشبيه بين عين خاريكليا اليمنى وكالاسيريس. وإن دل هذا فإنه يدل على الدور الخطير والهام الذي يلعبه هذا الشيخ في مسيرة الرواية ؛ فهو لهذه الفتاة بمثابة البصر (أو البصيرة) الذي تستطيع أن ترى به ويحفظها مما هو آت من شرور ، لا يتسنى لها تجنبها بدونه. وبهذا المعنى يصبح كالاسيريس – كما يشير Heiserman - حليفاً للقدر ، يعمل لا من خلال السحر الذي يحتقره وإنما من خلال الحكمة ، وهذه الحكمة تضمن تدابير جيدة للحبكة الرومانسية – ربما لأن القدر نفسه يشبه مثل هذه الحبكة[٥٦]. ولأن هذا الرجل الذي يلعب هذا الدور الهام هو بعينه كاهن إيزيس فإن هذا يدل على حماية هذه الربة للبطلة التي تشبه ألامها ما تمر به من نوائب.

ثالثاً – صدى عناصر الأسطورة أقصوصة الابن وزوجة الأب:

لقد وردت هذه الأقصوصة في ثلاث درجات من درجات القص الخمسة سالفة الذكر؛ الثانية (على لسان خارياس)، والثالثة (على لسان كنيمون)، والخامسة (بإيجاز ما قاله أنتيكليس لكنيمون على لسان الراوي الأصلي).

وعلى الرغم من أن أقصوصة كنيمون وزوجة أبيه يمكن أن تبدو اقحاماً واضحاً على الرواية ، فإن هناك من الآراء ما يدافع عن علاقتها القوية بمجمل الرواية. فهناك من يرى أن هناك عناصر مشتركة بين قصة كنيمون وقصة خاريكليا. إن قصة كنيمون على وجه الخصوص – كما يعتقد Winkler - تعيد أيضاً تقديم مشكلة قصة خريكليا. لقد تم نفيه من أرض وطنه بزعم الحفاظ على شرف أم ، تماماً مثلما حدث لخريكليا. إن السؤال الرئيس في رواية الإثيوبية كلها يعود ليصبح عما إذا كانت (وكيف) ستعود خاريكليا لوطنها. ويسير هذا السؤال ببساطة ليجد إجابته في الكتاب الأخير. ونفس السؤال ينطبق على حبكة قصة كنيمون .لقد أتى إلى مصر ليجد ثيسبي ؛ فهي الوحيدة التي بستطاعتها أن تشرح له ما حدث، وبشهادتها وحدها يتمكن من الحصول على حقة في تركة أبيه واسترداد حق المواطنة . وهكذا فهي نفس مسألة عودة الولد من منفاه إلى أبويه ووطنه وما يترتب على ذلك من الحفاظ على شرف الأب ، وهو السؤال الذي تمت الإيجابة عليه في حالة خاريكليا ولكن يبقى معلقاً في حالة كنيمون[57].

كما أن هناك من يرى علاقة أخرى بين أقصوصة كنيمون والقصة المحورية للحبيبين. وهذه العلاقة تكمن في أن هذه الأقصوصة تقدم نموذج الحب الآثم (من قبل زوجة الأب لابن زوجها) الذي يمثل النقيض الشارح للحب النبيل بين خاريكليا وثياجينيس.إن Morgan ترى أن هذه الأقصوصة تقدم صورة للحب السيء الغير شرعي والأخلاقي الذي سوف يشكل ويكون ،بوضعه بشكل متعمد في بداية الرواية كلها، تقديرَ القارئ للحب الحقيقي للشخصيتين الرئيستين عن طريق تقديم النقيض الشارح لهذا الحب، كما أنه سوف يقدم في نفس الوقت نماذج واقعية تشير من طرف خفي لبعض العناصر العدائية التي تهدد حبهما ، وعلى وجه الخصوص الأميرة الفاريسية أرساكي. إن الأقصوصة هذه تعد نموذجاً ، من النوع المعكوس، الذي يقدم معياراً يَظهر بالتضاد معه مغزى الحبكة الرئيسية. فالخير والشر هما وجهان لعملة واحدة ، ولا يمكن لهما أن يوجدا الواحد منهما بمعزل عن الآخر. وفيما بينهما يشكل الحب السلبي داخل الأقصوصة والحب الإيجابي داخل الرواية إطاراً تدور فيه القيم الاخلاقية،التي يمثل التعبير عنها ومساندتها سبب إبداع (raison d' etre) رواية الإثيوبية. ويمكن تشكيل وتفصيل ذلك في سلسلة من الأقطاب المتناقضة بين الرواية والأقصصة.[58]

وكلا الرأيين يكمل كل منهما الآخر بل أن هناك مساحة مشتركة فيما بينهما. وسواء أخذنا بما جاء عند ويكلير أو بما جاء عند مورجان، فإننا يمكن أن نجد ما يمثلهما في العلاقة بين أقصوصة كنيمون والإشارة الواردة فى الفقرة موضوع الدراسة. فالعلاقة البنائية – التي تتمثل في صدى

حكايات وإشارات تبدو غير ذات صلة في القصة المحورية تشبه ما يرويه كالاسيريس عن قصة ميلاد هوميروس المزعومة– تؤيد نفس العلاقة التي نسعى لإثباتها بين الإشارة لإيزيس وأوزوريس في الفقرة موضوع الدراسة وبين الرواية ككل. أما العلاقة الموضوعية (نسبة إلى الموضوع) – التي تتمثل في علاقة النقيض الشارح بين الحب الآثم في الأقصوصة والحب النبيل في القصة المحورية أو علاقة التوازي بين ما يعانيه كنيمون وما تعانيه البطلة أو علاقة التشابه بين مكر ديمينيتي بكنيمون ومكر أرساكي بثياجانيس واستعصام كلا الطرفين في كلتا الحالتين– فيمكن أن تجد مثيلاً لها في علاقة التناقض بين الحب الآثم كما ورد في الأسطورة والحب الأوزيري كما ورد في الفقرة ؛ فهذا الأخير تجسيداً للعلاقة الطبيعية بين الأرض-إيزيس والنيل-أوزوريس ، كما يعد شبيها بنموذج الحب الطبيعي الذي يظله الوفاء والعفة ونقيضاً للحب الغير طبيعي الذي يضله الهوى والبغاء.

رابعاً : صدى عناصر الأسطورة في قصة صراع الأخوين:

إن القصة الصغرى داخل الرواية هي قصة بيتوسيريس وثياميس ابني كلاسيريس. وتمثل داخل الرواية حدثاً ثانوياً يرتبط بالحدث الرئيس بعلاقات أهمها دور الأب كلاسيريس (الذي يعرف البطلة بحقيقتها ويهيء لها طريق العودة مع حبيبها) وثياميس (ابن كالاسيريس وزعيم جماعة اللصوص التي اختطفت الحبيبين فور وصولهما إلى مصر). ولقد وردت كل تفاصيل هذه القصة تقريباً في درجتين من درجات القص الخمس : الأولى (على لسان الراوي نفسه) ، والخامسة (ما يوجزه الراوي من أحداث مضت) . كما أنها تتميز عن القصة المحورية وأقصوصة كنيمون بكونها قصة مصرية بحتة ؛ فكل ابطالها مصريون. وعلاوة على أن أحداثها تجري كلها على أرض مصر، فإن أسماء أبطالها الثلاثة – الأب والأخوين- هي مصرية[59]. وكل من هؤلاء الثلاثة لهم علاقة بعبادة إيزيس: فكالاسيريس –الذي سبق وفصلنا علاقته بإيزيس ودوره البالغ الأهمية في الرواية- هو الأب.وأما الأخوان ، فالأكبر هو ثياميس الوريث الشرعي لكهانة إيزيس بعد رحيل أبيه وصاحب رؤية إيزيس الشهيرة. وأما الأصغر فهو بيتوسيريس ، الذي أصبح كاهناً لهذه الربة بدون وجه حق.

ويوصف اقتتال الأخوين داخل الرواية في لغة مسرحية وكأنه دراما أو مشهد في مسرحية [60]. فتأتي بذلك بمثابة القصة داخل القصة ، أو هي قصة داخل النسيج القصصي للرواية ككل. وترتبط القصة بنسيج الرواية عن طريق بنوة كل من بطليها لكلاسيريس صاحب الدور الكبير والمهم في الرواية على النحو الذي تناولناه. لقد ترك كالاسيريس ،كاهن إيزيس ، منصبه هرباً من شهوة آثمة تجاه امرأة تدعى رودوبيس ونبوءة مشؤمة تنذر باقتتال ولديه (٢. ٢٥). وفي أعقاب ذلك يتقلد الأبن الأكبر ثياميس منصب أبيه. وفي أثناء تنصيبه تقوم أرساكي أخت الملك وزوجة الستراب اللعوب بمعاكسات غرامية تجاه ثياميس الذي لا يلقي لها بالاً. لكن الأبن الأصغر بيتوسيريس يستغل ذلك كي يخلع أخاه من الكهانة فيشي به عند الستراب الذي ما فتئ يهدد ثياميس حتى فر ليغتصب أخوه منصبه عن طريق ما حاكه له من حيلة. وتمر الأيام ويصبح ثياميس زعيماً لجماعة من اللصوص الذين يقودهم أخيراً لمهاجمة منف حتي يسترد منصبه من أخيه المغتصب. ترفض ارساكي فتح أبواب المدينة امام جيش ثياميس مفضلة دعوة الأخوين للقتال وجه لوجه ، فتكون الكهانة لمن ينتصر منهما. يرحب الكبير بالمواجهة في حين يساق إليها الصغير كأنما يساق إلى الموت. يقتتل الأخوان حتى يصل الأب كالاسيريس في اللحظة المناسبة ليمنع المأساة من أن تكتمل (٧. ٢ – ٧. ٧.).

وعلى الرغم من العلاقة الوطيدة بين هذه القصة وقصة ولدي أوديب التي عالجتها التراجيديا اليونانية ،لا سيما في مسرحية الفينيقيات ليوربيديس. إلا أن ثمة اختلافات هامة بين القصتين [٦١] يمكن أن يدفعنا إلى ربطها بالإشارة لقصة أوزوريس التي وردت إليها الإشارة في الفقرة موضوع الحديث.فإيزيس كما ورد في الفقرة "تكره تيفون بوصفه عدواً". وفي ذلك إشارة إلى قصة الأخوين أوزوريس وتيفون (ست). والأسطورة- كما وردت تفاصلها عند بلوتارخوس[62] - توحي بعناصر

مشتركة بينها وبين قصة الأخوين كما وردت في الرواية. وأهم هذه العناصر هي اغتصاب منصب الأخ الأكبر من قبل الأصغر بطريقة غير شرعية.وهذا الاغتصاب يتم في كلتا الحالتين بحيلة دنيئة ، وبتدخل إمرة أجنبية (أسو[63] أو أرساكي) بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. وعلى الرغم من ذلك ، فإن قصة أوزوريس وتيفون على هذا النحو لا تتشابه كثيراً مع قصة الأخوين في الرواية .لكن بعض قصص الأخوين المتعددة في التراث المصري القديم - والتي تعد تكراراً بشكل أو بآخر لقصة أوزوريس وست وشاعت في العصر البطلمي- يظهر وجه شبه كبير مع قصة الأخوين ثيامیس وبيتوسيريس.

وأول هذه القصص هي قصة الصراع بين حورس وست. وتتلخص القصة –كما يوجزها Amour - في الصراع الدائر بين حورس -الذي تقف أمه إيزيس بجانبه بوصفه الوريث الشرعي لمملكة أبيه أوزوريس - وست المغتصب للملك؛ فعندما بلغ حورس أشده ، تحداه ست لمبارزة فردية. وقامت إيزيس بتزين مركب أبنها بالذهب وصلت من أجل نجاحه (الأمر الذي يذكرنا بما بذلته أم أخيليوس من مجهودات قبيل معركته الكبرى مع هيكتور). وأخذ ست شكل فرس النهر واستعد للمعركة في جزيرة فيله في أسوان. وبصوته الذي يدوي كالرعد استغل امتلاكه للصواعق بوصفها سلاحاً مرعباً. لقد لطمت الأمواج والرياح مركب حورس لكن هذا الإله الشاب ثبت وقاد أتباعه رغم سوء العاصفة.[64] وبعد حلقات من الصراع والنزال يتم استرداد حورس لملك أبيه. ويعد حورس في هذه القصة امتداداً لأبيه أوزوريس (وهو ما يتوافق مع نص لرواية نفسها ، فالنيل الذي يتماثل طبقا لنص الرواية مع أوزوريس يتماثل أيضاً طبقاً لها مع حورس[65]). في حين يوصف ست في بعض المصادر المصرية القديمة المتأخرة نسبياً بأنه أخو لحورس[66]. كما يظهر في بعض هذه المصادر ، عنصر جديد وهو العنصر الجنسي : حيث تتملك ست شهوة جنسية تجاه إيزيس تارة عندما غيرت هيأتها إلى فتاة جميلة [67]، وتجاه حورس نفسه تارة أخرى[68]. والجدير بالذكر ما يشير إليه نور الدين من أن مصادر تاريخية قد اختصت مدينة بوتو بحضانة الطفل حورس بعد أن وضعته أمه إيزيس بها أو بجزيرة مجاورة لها تسمى "آخبيت" بأحراش الدلتا تحت رعاية "واجيت" ربة المدينة. وكان سكان هذه المدينة أول من أيدوا حورس بعد أن بلغ أشده واستوى وخرج ليسترد ملك أبيه أوزوريس.[٦٩] وفي الحق أن هذا يذكرنا بثيامیس الذي فر إلى أحراش الدلتا وفي منطقة غير بعيدة من بوتو[٧٠] ، ليصبح زعيم جماعة من اللصوص (من أهل قرية بيسا الذين جعلوا السرقة مهنة لهم) ليؤيده بعد ذلك ويذهبوا معه ليسترد منصبه الذي اغتصبه أخوه منه بالمكر والخديعة. ولقد تعرضت قصة حورس وست للعديد من التغيرات في العصر البطلمي. فقد بقي – كما يشيرTait - عدد لا بأس به من الشذرات الخاصة بأسطورة حورس وست. وهذه هي "القصة" الوحيدة التي بقيت لنا من الدولة الوسطى والدولة الحديثة (نموذج واحد ، هو النموذج الوحيد الذي ليس في شكل شذرات) وعصر الأدب الديموتيقي. ومع ذلك فالشذرات لا تحمل دليلاً على تراث مستمر لنص واحد مكتوب ؛ والمادة الديموتيقية نفسها يبدو أنها تقدم أكثر من رواية واحدة مختلفة تماماً. وهناك شذرة غير منشورة من شمال سقارة (القرن الرابع قبل الميلاد) تعالج حادثاً لم تتم معرفته بطريقة أخرى، حيث يتوج جحوتي كل من حورس وست بتوجيهات من إله الشمس رع ، كما يعيد رد فعل إيزيس في كل تتويج. والمادة المنشورة والغير منشورة من برلين ،والتي تعود لتاريخ بطلمي، توحي بمعالجة جد مختلفة للأسطورة[٧١].

أما القصة الثانية فهي قصة اعماء الصدق على يد أخيه الكذب. وملخص القصة كما أورده سليم حسن هو كما يلي : اتهم الكذب الصدق بتهمة كانت نتيجتها أن حُكم على الصدق بالعمى ، ووافق "تاسوع الآلهة" على ذلك الحكم ، ويظهر أن هذه التهمة كانت تنحصر في أن الكذب أودع عند أخيه الصدق مدية يحتفظ بها أمانة عنده ، ولكنها لسبب ما فقدت أو تلفت ، وأراد الصدق أن يعوض أخاه بأخرى مثلها ، ولكن أخاه الكذب كان يتعلل بعلل مختلفة ، وكان يخلع على مديته أوصافاً تضخم من

شأنها ، وتعجز الصدق عن الإتيان بمثلها ، فقال عنها: إن جبال "إبل" سلاحها ، وأشجار فقط مقبضها ، وقبر الإله قرابها وماشية كار رباطها. فعجز الصدق طبعاً عن رد مثل هذه المدية ، فحكم عليه تاسوع الإله بالعمى كما أراد الكذب. وبعد ذلك رغب الكذب في أن يقضي على حياة أخيه ، ولكنه نجا من حبائله وأخذ الصدق مكانه تحت سفح جبل ، فرأته خادمة وأعجبت بجماله وأشفقت عليه فأخبرت سيدتها بأمره ، وأحضرته إليها فأعجبت به ، واتصل بها اتصال الرجل بامرأته ، فأنجبت طفلاً جميلاً اقتص لأبيه بعد أن نما وأيفع وأوقع بالكذب مثل المكيدة التي دبرها الكذب لأبيه ، وانتهى الأمر بإعماء الكذب وانتصار الصدق عليه[٧٢]. وعن علاقة موضوع هذه القصة بأسطورة أوزوريس يقول سليم حسن أننا نلمح "في ثناياها صورة أخرى لخرافة "حور" و "ست" : فالأخ الأكبر هو الذي يتحلى بالفضيلة ، وهو الذي يتآمر على قتله أخيه الصغير الشرير (كما نرى في أوزير وست". والأبن الذي جاء ينتقم لأبيه في قصتنا يعادل "حور" بن "أوزير" في تلك ، والخلاف في مسلك الأم فيهما. ومما يثبت لنا أن هذه الأسطورة صدى مشهور لأسطورة "أوزير" تلك المحكة التي انعقدت من التاسوع الإلهي" ونظرت في شكاية كل من الصدق حينما رفع كليهما الأمر إليها"[73]

والقصة الأخيرة تتمثل في أسطورة باتا. ولهذه القصة مصدران. أولهما هو قصة الاخوين الشهيرة في الأدب المصري القديم. وتتمثل أهم عناصرها فيما يلي :يعمل كل من الأخوين أنوبيس وباتا في تواءم في حقليهما، يرسل أنوبيس أخيه باتا ليحضر الحب، فيذهب إلى دار أنوبيس. وبينما يحمل باتا الحب ، تحاول زوجة انوبيس إغراءه ليزني بها ، لكنه يرفض. وعندما يذهب أنوبيس إلى داره يعلم بمحاولة جريمة الزنى المزعومة من قبل أخيه فيطارده بسببها. يهرب باتا ويذهب سالماً إلى الجانب الآخر من الماء. يقف أنوبيس وباتا على ضفتي الماء ويوضحان الموقف. يقطع باتا عضو ذكرة ويلقيه به. يرحل باتا من عند أنوبيس ويذهب إلى وادي كيدار.[74]

وأما المصدر الآخر فهو قصة الأخوين الواردة لنا من العصر البطلمي. وتتمثل أهم عناصر هذه القصة - كما أوردها Hollis في مقارنتها بقصة الأخوين الشهيرة – فيما يلي : يعيش كل من أنوبيس وست في خصومة ؛ يخرج أنوبيس ،ويستغل ست الفرصة للذهاب إلى دار أخيه. يسرق ست ال *ht-m-hftyw* الخاص بجسد الإله. يعود أنوبيس إلى الدار ليكتشف ضياعه فيطارد ست بسبب ذلك. يهرب ست ويعبر النهر. يدنو أنوبيس من ست الذي حول نفسه إلى ثور ويأخذه أسيراً. يقطع أنوبيس عضو ذكر الثور وخصيته. يأخذ ست أسم بت(Bt) ويُؤخذ أسيراً في مكان للذبح ثم يتحول بعد ذلك إلى القمر المحنط ، ال *W'bt*.[75]

وفي الواقع أن قصة الأخوين البطلمية هذه ذات أهمية كبيرة بالنسبة لما نهدف إليه هنا. فهي تتشابه مع قصة الأخوين أنوبيس وباتا من ناحية ، ومع قصة الأخوين أوزوريس (وامتداده حورس) من ناحية ، ومع قصة الأخوين ثياميس وبيتوسيريس في الرواية من ناحية ثالثة. فأما عن تشابهها مع قصة الأخوين أنوبيس وباتا فيكمن في العديد من العناصر المشتركة بين القصتين: ففي كلتا القصتين يقوم صراع بين الاخوين بسبب اتهام (حقيقي أو وهمي) من الأخ الأكبر (أنوبيس) للأخ الأصغر. هذا الصراع يفضي إلى معاقبة أو هزيمة الأخ الأصغر بأن يفقد خصوبته بيده هو نفسه أو بيد أخيه. وأما عن تشابهها مع قصة الأخوين أوزوريس (أو حورس) وست –وهي التي جاءت الإشارة لها في الفقرة موضوع الدراسة- فيكمن في العناصر المشتركة بينهما: ففي كلتا القصتين ينشب صراع بينهما من جراء اغتصاب أحد الأخوين حق أخيه بطريقة غير شرعية. وينتج عن ذلك مواجهات تنتهي برد الحق للأخ المفترى عليه (أو إلى وريثه الشرعي) وعقاب المغتصب. إن سرقة ست في هذه القصة لـht-m-hftyw أوزوريس وحمله على ظهره وهروبه به يشبه ما ارتكبه ست (تيفون) في حق اخيه أوزوريس من وضع في التابوت وحمل إلى النهر وقتل وتقطيع. ومما يزيد من وجه الشبه هذا ما يشير إليه Hollis من عناصر في تعليقه على أسطورة باتا. فهذا العنصر يمكن أن يجد ما يعكسه منذ متون الأهرام، التي يظهر فيها ست كثور حاملاً لأوزوريس-الملك ومربوطاً وفاقداً خصيته في

صراعه مع حورس. وعلى ذلك من الواضح أن ست في متون الأهرام وفي هذه القصة يحمل بوصفه ثوراً أوزوريس كعقاب. وفي الحق أن تعقب أنوبيس لست بعد أن سرق ال *bt-m-hftyw* يمكن أن يعد بحثاً عن أشلاء أوزير وعثوراً عليها. في حين أن أمثلة من نص هذه القصة تربط أنوبيس بإيزيس عن طريق مساواته بحورس.[76] وأما عن تشابهها مع قصة الأخوين ثياميس وبيتوسيريس فيكمن في أن صراعاً ينشب بين أخوين ، من جراء اغتصاب الأخ الأصغر لحق الأخ الأكبر بطريقة غير أخلاقية (السرقة أو الاحتيال). والشئ المغتصب في كلتا الحالتين له صفة أوزورية (ال *bt-m-hftyw* الخاص بجسد الإله أو منصب كهانة إيزيس) ، وينتهي الصراع في كلتا الحالتين لمصلحة الأخ الأكبر بعد استعادة هذا الحق المسلوب من الأخ الأصغر الذي تملكه الخوف.

وهكذا ، يمكن لقصة الأخوين (أنوبيس وست) البطلمية هذه أن تمثل نقطة الوصل بين قصة الأخوين (أنوبيس وباتا) الشهيرة في الأدب المصري القديم ، وبين قصة الأخوين (أوزوريس أو ابنه حورس وست) التي وردت الإشارة إليها في الفقرة موضوع الدراسة من الإثيوبية ، وبين قصة الأخوين ثياميس وبيتوسيريس الواردة في هذه الملحمة. والواضح أنه كان هناك منحى في الأدب المصري القديم يتجه مع تقدم الزمن (وخاصة في العصر البطلمي) إلى إعطاء قصص الأخوين طابعاً أوزورياً يقوم على تماثل كل من أنوبيس وباتا مع أوزوريس (أو حورس) وست. هذا المنحى يعضد الربط بين الإشارة إلي أسطورة أوزوريس وست (تيفون) الواردة في الفقرة موضوع الدراسة من رواية الإثيوبية وبين قصة الأخوين الواردة في هذه الرواية ؛ وهو الربط الذي يؤيد ما نرمي إليه في هذا الجزأ من البحث من وجود صداً لهذه الإشارة في حكاية الأخوين ولدي كلاسيريس داخل رواية هليودوروس.

الخاتمة

إن النتيجة التي نتوصل إليها في هذا البحث تقوم على مقدمتين :١- دراية هيلييودوروس الواسعة بأدب القص (الملحمة والدراما) اليوناني من قبله ومحاكاته لما يتمتع به من أساليب. والشاهد على ذلك من داخل الرواية محاكاته لطريقة القص الهومري واستخدامه الارتجاع الفني ، بطريقة تبدوا أكثر تعقيداً مما هي عليه في الأوديسيا .٢- معرفته الواسعة بالتراث الثقافي الشرقي ،لا سيما الأدبي.والشاهد على ذلك ما أورده داخل قصته من معلومات عن أماكن وأحداث تتعلق بمصر على وجه التحديد ومن أحدث نلمح فيها أثر شرقياً (مثل إلقاء البطلة في النار وخروجها سالمة لم يمسسها سوء). وهاتان المقدمتان الظاهرتان في داخل الرواية نفسها تصلحان أساساً لبرولة نتيجة هذا البحث : لقد سخر هليودوروس تقنية درامية تعتمد على إشارة طرف محايد –عادة ما يكون الكورس- لأسطورة من الأساطير حتى يصبغ الحدث الدرامي بصبغة ذات دلالة أسطورية ورمزية وشعائرية . وإذا ما اعتبرنا أن ما يقصه الراوي الأصلي في هذه الرواية –أو على وجه التحديد ما يتوقف فيه ليعلق به على أحداثها - هو المعادل الطبيعي لما ينشده الكورس في الدراما فقد استغل هليودروس هذا المعادل ، فأورد على لسانه وصف احتفال النيل والإشارة إلى أسطورة إيزيس وأزوريس المتعلقة بهذه الاحتفالات. وبذلك أعطى للحدث الروائي صداً أوزورياً، مهدت له داخل الرواية عدة عناصر هي: ١- قصة الحبيبين التي تتشكل من دائرة من الندب (عند الانفصال) والشوق والسعادة عند التئام الشمل وكراهية العدو (الذي يتسبب في هذا الانفصال).٢- وجود شخصية كاهن إيزيس ، الذي يقص جزء كبير من الرواية ويقوم بدور حائك القصة داخل القصة ويعتمد في أداء دوره على السرية ، بالإضافة إلى كونه المفصل الرابط بين معظم أحداث الرواية وشخصيتها. ٣- قصة الأخوين التي تحمل صداً لقصص الأخوين المتكررة في التراث المصري ، والتي اكتسبت مع مرور الزمن - لاسيما في العصر البطلمي- طابعاً أوزورياً ، حيث أخذ الأخوان المتنازعان صفات كل من أوزوريس وست. ٤- مكان الحدث وزمانه : فإذا كانت هذه العناصر -المتعلقة في غالبيتها بشخصيات

الرواية- تخلق في الحدث صداً أوزورياً ، فإن ما نود أن نؤكد عليه هنا على وجه الخصوص هو أن مكان القص وزمانه يصعدان من هذا الصدى وينشران خيوطه في نسيج الرواية كلها: فحاضر القص من أوله إلى آخره (أي الرواية الفعلية بغض النظر عن أحداث ماضيها التي يأتي سردها في نقاط ثابتة من هذا الحاضر) يبدأ عند الطرف الشمالي من النيل (الذي هو أوزوريس –طبقاً لاستبدالهم الأسماء بالأشياء- والذي يحدد فصول السنة ويساوي ما ترمز إليه أحرفه من أرقام -٣٦٥ - نفس عدد أيام السنة) ويسير جنوباً بمحاذاته ويصعد بصعوده حتى يبلغ ذروته وينتهي عند طرفه الجنوبي.

أن هذا التناظر أو التوازي بين دور الراوي الأصلي في الرواية والكورس في الدراما – الذي جاء كنتيجة لدراسة هذا النموذج المحدد - يصلح لأن يكون نقطة ارتكاز لمحور يمكن أن يتسع لتوازيات وتناظرات أعم وأشمل في كلا الفنين ، وعلى وجه التحديد في المرحلة التي خرجا فيها من طور النشأة إلى طور الازدهار(الذي مثلت الإثيوبية أوجه في الرواية): فإذا كان التطور في الدراما قد تم بالانتقال من طور المادة الديونيسية البحته التي أديت بشكل أو بآخر من خلال الرقص الجماعي الذي مثله الكورس إلى الطور الذي اصبحت فيه دراما بفضل إدخال الممثل وانحصار دور الكورس واتساع دائرة المادة المتناولة لتشمل أساطير (من النطاق الهومري) غير ذات صفة ديونيسية بحته وإدخال تقنية القص الهومرية (والتي تعتمد على البدأ قبيل انتهاء الحدث ثم استعادة الأحداث الماضية وفقاً للسياق عن طريق ما يسمى بتقنية القص الارتجاعي (flashback)) – إذا كان هذا الانتقال قد حدث في الدراما- فإننا يمكن أن نجد ما يوازي هذه المرحلة من التطور في تاريخ الرواية ، عن طريق افتراض أن تطور الرواية حتو وصولها لمرحلة الازدهار قد جاء من خلال الانتقال من المادة التاريخية التي تعتمد على درجة واحدة من القص (القص في ضمير الغائب غالباً أو في ضمير المتكلم أحياناً) إلى الطور الذي اصبحت فيه رواية عاطفية (في طور الازدهار) بإدخال درجات أخرى من القص (إلى جانب الدرجة الأولى التي انحصر دورها) واتساع دائرة المادة المتناولة لتشمل مادة خيالية غير ذات طابع تاريخي بحت (وممتزجة بمواد ذات طابع أسطوري وشعائري مثل القصص الأزيري ، وغيره مما يرتبط بموروث شعوب بحر متوسطية أخرى عاش الكاتب الروائي في أجوائه بعد أن أصبح مادة متداولة في المصادر اليونانية منذ قرون مضت) إلى جانب إدخال تقنية القص الهومري ذاتها. إن بإمكاننا أن نفترض أن مزج الرواية بأساطير وحكايات بل وطقوس تخص آلهة بحر متوسطية – على رأسها إيزيس- جاء لتعويض غياب العنصر الديني ذي الصبغة الطقوسية (الذي كان هو أصل الدراما) من القصص التاريخي الذي تطورت منه –وفقاً لمعظم الآراء- الرواية اليونانية القديمة. ويبدو أن النزوع إلى العنصر الديني – الاسطوري منه والطقوسي – لتلوين حبكة كل فن يعتمد على القص كان متأصلاً في مخيلة الأديب اليوناني منذ أن قلب هوميروس سبب نشوب حرب طروادة من صراع على الثروة بين أمتين إلى تنافس على تفاحة الجمال بين ربات ثلاث !.

الهوامش

[1] اجتمعت الآراء على أن هناك خمسة نصوص تمثل أهم ما ورد لنا من روايات الحب والمغامرة وأكثرها اكتمالاً ، وقد كتبت ما بين القرنين الأول والرابع الميلاديين ، وهي : "خايرياس وكاليروي " لخاريتون و"أنثيا وهابروكوميس" لكسينوفون الإفيسي و"ليوكيبي وكليتوفون" لأخيليوس تاتيوس و"دافنيس وخلوي" للونجوس و"الإثيوبية" ليهليودوروس. كما يضاف إلى هذه النصوص العديد من النصوص الأخرى التي يمكن أن تندرج بشكل أو بآخر تحت هذا النوع الأدبي أو تحمل بعض صفاته. أنظر Reardon 1989,passim . ولدراسة متكاملة وشاملة باللغة العربية حول الرواية اليونانية القديمة وما يندرج تحتها أو يتعلق بها من نصوص وأصولها،أنظر وهبه ١٩٩٧،في صفحات متفرقة ، ولدراسة أخرى موجزه ، أنظر ما اورده عتمان ٢٠٠١ ،٦٥٧- ٦٧١.

[2] تشير الدلائل إلى أن أثينا قد عرفت عبادة إيزيس – كربة أجنبية في تعبد في دائرة معينة- قبل عام ٣٣٣. وذلك بموجب قرار من "الإكليسيا" خول للمصرين اكتساب قطعة من الأرض لبناء مكان لعبادة ربتهم. أنظر Simms 1989, 216,221 . لكن رسلة الإنقاذ التي كانت تنطوي عليها هذه الديانة جعلت منها أكثر العبادات الشرقية نجاحاً في حوض البحر المتوسط ، لا سيما في العصرين الهلينستي والروماني؛ فكما يموت أوزوريس زوج إيزيس ثم يبعث فإن كل شخص يلقن داخل هذه الشعائر السرية يموت وينقطع عن حياته السابقة ثم يظهر في شكل جديد.أنظر Hagg 1983,87 . وهكذا ، حتى أن ما يثير الدهشة أن بلوتارخوس ادعى أن إيزيس يونانية وأن اسمها يوناني (Plutarch's *Moralia*,351f:" Ελληνικον γαρ η Ισις εστι.."). قارن Richter 2001, 195 .
ومن الواضح أن سحر الألهة المصرية - لا سيما إيزيس- قد دفع بلوتارخوس-الذي كان يعيش في زمن كانت الآلهة المصرية قد وجدت لنفسها مكان في بلاد اليونان إن لم يكن في دلفي نفسها- لإعطاء هذه الآللهة صفة العالمية ولأغرقة الربة إيزيس. أنظر Etman 1990, 15-16 .

[3] تحتل مصر في الغالب جزءاً كبيراً من مسرح الأحداث في معظم الروايات اليونانية القديمة ؛ فعادة ما يهرب بطلا الرواية العاشقان إليها. أنظر Reardon 1969,300 . إن من هذه الروايات ما يظهر معرفة كبيرة بمعالم الحياة في مصر مثل "رواية الاسكندر" واهتماماً كبيراً بها مثل "الإثيوبية".أنظر Stoneman1994,122. بل أن من بين من بقيت أعمالهم من كتابها – وهو أخيليس تاتيوس – من كان مواطناً سكندرياً. (Suida Lexicon, s.v. Αχιλλευς Στατιος Αλιξανδρευς , ο γραψας τα κατα Λευκιππην και Κλειτοφωντα..) انظر ايضا Morgan 1994a, 7 ووهبة ١٩٩٧، ١٢٥. ومن حيث الأسلوب نجد أن المشهد العام عن هيليودوروس ولونجوس وأخيليوس تاتيوس ذا طابع سكندري وسوفوسطائي. أنظر Perry 1930,128-129 . أما من حيث الأصل فإن الخلفية التاريخية للروايات يمكن تفسيرها كنتاج للإليجيات السكندري ذاتها. أنظر Giangrande 1962, 137. ويمثل تأثير حكايات مصرية قديمة على الرواية اليونانية إشكالية على نطاق واسع . لقد نوقش بتوسع احتمال وجود أصول شرقية للرواية اليونانية ، لاسيما في حالة مصر. فمما لا شك فيه تقريباً وجود تفاعلات بين التراث اليوناني والمصري ، كما أن البردي الذي وجد في مصر يحتوي على قدر من النصوص اليونانية ذات الاهتمامات المحلية الواضحة ، التي تدل عليها أسماء مصرية وموضوعات تخص السحر. أنظر Morgan في نفس الهامش. والبعض يرى أنه ينبغي أن نعود للوراء كثيراً للبحث عن أسلاف للقصص الخاصة بالترحال؛ فالقصص المصرية مثل تلك التي ترجع إلى الدولة الوسطى- والتي تتناول قصة البحار الذي تحطمت سفينته في جزيرة الثعبان الغير طبيعي- تسمح لنا بالاعتراف بقصص بحر متوسطي قديم. أنظر Lesky 1990, 1171-117. ويلاحظ البعض أن القصة المروية قد ازدهرت في مصر القديمة لقرون كثيرة قبل أن تتطور الكتابة الديموطيقية كي تكتب بها وثائق (في القرن السابع قبل الميلاد)، ولتأتي مؤخراً لتستخدم في أغراض أدبية. وبالإضافة إلى هذا فإن القصص المكتوبة باليونانية (سواء أكانت ترجمة من نصوص مصرية إلى اليونانية ، أو مؤلفات باليونانية على الطريقة المصرية) قد ثبت وجودها في كلا العصرين البطلمي والروماني. أنظر Tait 1994, 203 .

[4] تعد رواية الإفيسية لكسينوفون أقوى الروايات إرتباطاً بعبادة إيزيس طبقاً لهذه النظرية ؛ فصيحات جمهور الروديين عند التقاء أنثيا وهوبروكوميس عند معبد إيزيس (٥. ١٣. ٣) يشبه الصياح الشعائري المعروف في عبادة هذه الربة، أنظر Merkelbach 1994, 286 (قارن هامشي ٢٤ ، ٣٧). وحول مجمل ما تشمله هذه النظرية من عناصر أنظر Hagg 1983,101-103 وReardon 1991,170-17 و Γιατρομανωλακης 1997, 59-62 .

[5] أنظر Reardon 1969,303-305 وHagg 1983,103-104 وReardon 1991,171-173 و Lesky 1990, 1174 وحول مزيد من النقد لهذه النظرية انظر أيضاً Γιατρομανωλακης 1997, 61-62 note 3 وMorgan 1982,262 وReardon1994, 147 note 5 و Zeitlin1994, 169.

[6] يصف هليودوروس في مطلع روايته (١. ٤) مصب النيل المسمى هيراقليوتيكون (Ηρακλεωτικον) باعتباره مكان للحدث. في حين أننا نعلم من ديودوروس الصقلي Diodorus of Sicily , I.33.7 أن هذا المصب هو واحد من ضمن السبعة مصبات التي يُفضي بها النيل إلى البحر وأنه غالباً ما يسمى بالكنوبي (Κανωβικον, ο τινες Ηρακλιωτικον ονομαζουσιν).

[7] تحدث هيرودوت عن خيميس التي في الدلتا بوصفها تقع في جزيرة بالقرب من Βουτοι (Herodotus Historiae, 2. 159: "των δε δευτερων νησον η Χεμμις καλευμενη. εστι μεν εν λιμνη βαθεη και πλατεη κειμενη παρα το εν Βουτοι ιρον,..").ويذكر سترابون Strabo,17.1.18 :"περι δε την Βουτον και Ερμου) باعتبار هرموبوليس مجاورة لها Βουτος

Σιδέρη 1997, 145 Morgan 1989a, 391 note 42 . ويشير كل من (πολις εν νησω κειμενη σημ.2 إلى وجود مكانين باسم خميس ، أحدهما هو هذا الذي في الدلتا وآخر في الصعيد بالقرب من طيبة . لكن مورجان يشير إلى أن كلا المكانين لا يناسبان هذا السياق ، وفي مكان آخر يشير Morgan 1982, 274 note 116 إلى أن خيميس عند هليودوروس تتطابق مع νομος Χεμμιτης الوارد عند هيرودوت ٢. ١٦٥.

[8] اسم هذه القرية هو اسم مكان حقيقي لبلدة تقع على الحدود الجنوبية لمصر؛ وقد أعاد هادريان (كما ذكر تسميتها بأنتينوبوليس ، لكنها على هذا النحو لا يمكن مساواتها ببيسا هذه التي وردت عند هليودوروس. أنظر Morgan1982, 247

[9] أنظر Morgan 1982, 234 ، قارن ما ورد عند هيرودوت Herodotus *Historiae* II.65.11-12 حيث يقول"ες τα θεια πρηγματα, τα εγω φευγω μαλιστα απηγεεσθαι..."، ولقد سبق وقلده بلوتارخوس Plutarch's *Moralia* ,417c في عدم البوح بأشياء تتعلق بالطقوس السرية عندما قال " περι μεν ουν των μυστικων,....ευστομα μοι κεισθω, καθ' Ηροδοτον" . وحول ترجمة فقرة بلوتارخوس كاملة أنظر درويش ٢٠٠٤ ، ٣٥١.

[10] Winkler 1982, 112، الذي يعتبر إصراره هذا أحد المبادئ الرئيسة للتقنية الروائية عند هليودوروس.

[١١] أنظر Hagg 1983,70 الذي يعتقد أن هيليودوروس يمثل أوجاً ونهايةً لميراث طويل؛ فهو يُجمع العناصر النمطية التي استخدمها سابقوه ويجمعها داخل كل جديد.ولا شك أن هاج محق في كلامه خاصة فيما يخص تأثر هيليودوروس بهوميروس ، لا سيما في استخدامه تقنية الارتجاع الفني التي مكنته من الدخول في الأحداث في فترة متأخرة منها ، تماماً كما فعل هوميروس في ملحمتيه. وهذا ما يعبر عنه هاج Hagg 1971,318-319 على وجه التحديد : إن استخدام هيليودوروس "للقصص التفوضي" من خلال قص الشخص الثالث الرئيسي يأتي بوضوح شديد القرب من التقنية الهومرية ، على الرغم ،وهو من المؤكد، أن هيليودوروس لا يجعل القص مرتبطاً باستمرارية الفعل بنفس الطريقة التي قام بها هوميروس ،فأحاديث الرسول في الدراما ما زالت تمثل بالطبع الدرجة الأكثر علواً من "الخرافة الأخلاقية المغزى" لاكتمال القص في الضمير الأول داخل كل وظيفي.

[١٢] أنظر73-1983,70 Hagg الذي يرى أن الدراما وخاصة مسرحيات يوريبيديس قد مارست تأثيراً عظيماً على هيليودروس

[١٣] Γιατρομανωλακης 1997, 42-43. وعن مزيد حول الطابع الدرامي للإثيوبية والتأثير اليوريبيدي فيها أنظر أيضاً صفحة ٦٦ من نفس المرجع.

[١٤] أنظر درويش ٢٠٠٧، ٨٢-١١٣، حيث تحدثت بالتفصيل عن العلاقة التي تربط بين مثل هذه الأشارات الأسطورية -لاسيما ذات المدلول الشعائري منها – وبين الحدث الدرامي في الدراما اليونانية بوجه عام.

[١٥] تتصف خطة القص عند هيليودوروس بالطموح والعملية في نفس الوقت ؛ فهي ليست مختلفة فقط عن خطة بقية مؤلفي الروايات الغرامية ولكنها أيضاً جديدة تماماً في تاريخ النثر (أنظر41-40 Γιατρομανωλακης 1997, ؛فعلى الرغم من أنه يسير على ما سار عليه كتاب الروايات الباقية الأخرى –فيما عدا أخيليوس تاتيوس- بالقص في الضمير الثالث ، إلا أن القص عنده يأتي جد متميز ومركب :فمن الملاحظ أنه يحيل القص في أجزاء كبيرة من روايته إلى رواة يقصون في الضمير الأول (خاصة في الكتب الخمسة الأولى) – وهو النموذج الأصلي "الأقل براعة" للقص- أو إلى رواة يقصون أو يوجزون في الضمير الثالث (أنظر Hagg 1971, 316-117,119). لكنه إلى جانب ذلك يقص أجزاء كبيرة –لا سيما في الكتب الخمسة الأخيرة- بنفسه في الضمير الثالث.

[16] أنظر Morgan 1982,223

[17] Winkler 1982, 151-152

[18] Sandy 1982,157-160. لقد خص ساندي –وهو محق في ذلك- بالإشارة كل من بورفيريوس وبلوتارخوس ، حيث يوجد – على سبيل المثال- تطابق كامل مع ما ورد عند هليودوروس في هذه الفقرة من تماثل بين أوزوريس والنيل وبين الأرض وأوزوريس. قارن Plutarch' *Moralia* 363d: "Νειλον ειναι τον Οσιριν Ισιδι συνοντα τη γη ". وربما تزيد من أهمية هذا الربط -الذي قام به ساندي- الأبعاد التي أعطاها هؤلاء الذين من المفترض أن هليودوروس قد استقى منهم: فالمرأ طبقاً لبلوتارخوس – لا ينبغي أن يكتفي بالدلالة الفيزيائية "أوزوريس هو النيل وأن إيزيس هي الأرض" وإنما عليه أن يصل إلى الدلالة الميتافيزيقية والتي بمقتضاها يمثل أوزوريس "مبدأ للرطوبة" ، حتى تتحول الشخصيات الرئيسة الثلاثة –إيزيس وأوزوريس وحورس- إلى رموز :الأم

والأب (العناصر المولدة) والنسل. (أنظر Richter 2001, 204). ومن ثم فإن تأثر هليودوروس بمثل هذه المصادر يؤيد مزيداً من التفسير المجازي لروايته.

[١٩] أنظر Winkler 1994,27

[٢٠] قارن الرواية ٣. ٩. ١٨ "ειθε.. αυτη ποθου.. και ερωτος εισθοιτο" ،حيث يعبر خاريكليس عن أمنيته أن تجرب الشوق والجوى (حتى تتزوج)

[٢١]قارن الرواية ٤. ٧. ٥:"..ηυχομην.. Αλκαμενους.. εραν η παντα" ،حيث يعبر خاريكليس عن أمنيته أن يضحي بكل ماله حتى تتزوج من ابن أخته ألكامينيس.

[٢٢] قارن الرواية ١. ٢. ٦ : "ουδε μετα θανατον αποστατειν ημων...." ، حيث يعبر ثياجانيس عن أنهما سوف يظلان سوياً حتى بعد الموت.

[23] Winkler 1982,117-118

[24] رواية الإفيسية لاكسينوفون Xenophon D' Ephese , I. iv.2 (και ποταμου Νειλου παρα) ρευμασιν Ισιδι σεμνῃ σωτειρη μεταπισθε παραστης ολβια δωρα. Αλλ᾽ ετι που μετα πηματ᾽ αμειονα ποτμον εχουσι). وهي النبوءة التي تتأكد مرة أخرى ؛ فعندما ذهبت البطلة لمعبد إيزيس ودعت أن تأتيها نبؤة عن هوبروكوميس تسمع الأطفال أمام المعبد وهم ينشدون في أغنية جماعية " سوف تكتشف أنثيا قريباً زوجها ،هابروكوميس (V. iv. 11 : Ανθια Αβροκομην ταχυ ληψεται ανδρα τον αυτης.).وبناءاً على ذلك ربما كانت مسيرة أنثيا هي الأقرب من بين مسيرة كل بطلات الروايات الأخرى من مسيرة خاريكليا من حيث ارتباطها بإيزيس وعبادتها: ففي *الإفيسية* III. xi-xii تتهرب البطلة من الزواج من بيساميس متعللة " بأن أبها كان قد نذرها منذ ولادتها لإيزيس حتى تبلغ سن الزواج ، مما يعني أنه لا يزال هناك عام آخر". وقد صدقها بيساميس وابتعد عنها احتراماً للربة (وهذا يذكرنا بطلب خاريكليا من ثيامبس تأجيل زواجهما حتى يصلا إلى منف فتسلم رموز الكهانة في قدس معبد أبوللون ويستعيد هو منصبه ككهان لإيزيس في معبدها واقتناعه بذلك ١. ٢٢. ٣١-٣٦). ويتكرر ما يشبه ذلك مرة أخرى في *الإفيسية* V.iv ؛ فعندما حاول بوليديس النيل من البطلة ذهبت إلى معبد إيزيس في منف ودعتها " يربة مصر التي عادة ما تساعدني أنقذيني مرة أخرى ". فتراجع بوليديس عن رغبته إجلالاً للربة. وفي *الإفيسية* IV. iii عندما غادرت البطلة الاسكندرية إلى منف تقف أمام معبد إيزيس وتدعوها قائلة " أن تنقذي هذه المرأة التعسة من هنا وترجعيني إلى هابروكوميس " (وارتباط مسيرة أنثيا بمنف ومعبد إيزيس فيها يذكرنا بارتباط مسيرة خاريكليا بهذه المدينة وهذا المعبد ؛ ففي منف عهد سيسيميثيريس إلى خاريكليس بخاريكليا بل وواعده أن يلتقيا في معبد إيزيس حتى يعطيه مزيد من المعلومات عنها ٢. ٣٠-٣١). وأخيراً تتحقق تلك النبوءات وتستجاب التوسلات ؛ فيلتقي البطل والبطلة أخيراً بالقرب من معبد إيزيس في روديس " وابتهج أهل روديس وصاحوا في حماسة وهم يحيون إيزيس باعتبارها ربة كبرى "(V.xiii.3:ο δε δημος ο Ροδιων ανευφημησε τε και ανωλολυξε, μεγαλην θεον αναkαλουντες την Ισιν) وحي حشد كبير من أهل روديس الربة بينما أتي البطل والبطلة "إلى معبد إيزيس قائلين ،"لك ، يأعظم الآلهة ،ندين بالحمد على سلامتنا ؛ فأنت ،أيتها الربة التي نجلها أكثر من الجميع، أنت التي أرجعتنا." واعترافاً منهم بالإجلال في الفناء فقد خروا ساجدين أمام المذبح".

[٢٥] قارن الرواية ١. ٢٥. ١٧-١٨:"μηδε μοι γινου των συμφορων βαρυτερος" ، حيث ترجو خاركليا ثياجانيس أن لا يزيد من عظم ما حل بها من خطوب ، مما يوحي بمشاركتها له في هذا الندب .

[٢٦] قارن الرواية ٥. ٢. ٢٧: "κακεινοι ...σωθεντες εκινδυνευον.." ، حيث يعبر الراوي أيضاً عن أنهما ما أن تم إنقاذهما حتى يتعرضان للخطر.

[٢٧] قارن الرواية ٥. ٢. ١٨ : "του θρηνου" و٥. ٤. ١٤ : " το θρηνουν γυναιον" ، حيث يشار إلى ندب خاريكليا وهي في بيت نوسيكليس بعد أن فارقت حبيبها.

[٢٨] أنظر Hagg 1983,66-67

[٢٩] حول رأي ميركيل باخ ونقده أنظر Hagg 1983,101-103 وانظر أيضاً Γιατρομανωλακης 1997, 60

[٣٠] حول تفاصيل الأسطورة كاملة كما وردت لنا عند بلوتارخوس ، أنظر Plutarch's *Moralia*,356a-357f. ولمزيد من المعلومات عن الأسطورة في مصادرها المصرية واليونانية أنظر ما ورد في درويش ٢٠٠٧، ٦٥- ٦٦.

[31] هذا التصور ليس هو التصور الصحيح بالضرورة ، ولكنه التصور الصحيح كما ورد عند هيليودوروس. أنظر هوامش ٦ ، ٧ ، ٨ . وعلى ما يبدو ليست المرونة في التصور الجغرافي صفة من صفات القصص عند هليودوروس وحده ؛ فنفس المرونة يمكن أن نلمحها عند اكسينوفون أيضا في وصفه لأماكن في مصر وإثيوبيا ، والجغرافيا كما يشير Andsrson 1989,155 note18 - عند اكسينوفون في وصفه لبعض الأماكن لا ينبغي أن تأخذ على محمل الجد ، على الرغم مما يظهره من معرفة .

[32] أنظر الرواية ٩. ٢٢. ٣٢: "τον ποταμον τουτον..η Αιθιοπια ..παραπεμπουσα" ، حيث يشير هيداسبيس أن إثيوبيا هي التي ترسل النيل وكل الأنهار.

[33] حول رأي ميركيل باخ ونقده Hagg 1983,102-103. قارن Γιατρομανωλακης 1997, 60-61

[34] مثل ذلك الوصف الذي يقدمه كالاسيريس لأحد من سألوه في دلفي عن النيل (الرواية ٢. ٢٨) ، ومثل ما يشير به خاريكليس عن سبب رحيله إلى أعالي مصر حتى يعلم عن شلالات النيل (الرواية ٢. ٢٩. ١٦-١٧).

[35] مثل ما تشير به البيثيا في دلفي في نبوءتها مخاطبة كالاسيريس الذي ترك ضفاف النيل الخصبة وواعدة إياه بأن تعيده إلى أرض مصر الخصبة (الرواية ٢. ٢٦. ٢١-٢٤).

[36] ومن الإشارات الاستشرافية إلى النيل في رواية تاتيوس ما ورد في وصف الأضاحي التي سوف تقدم في صور إلى أن " الأكثر تميزاً بينهم كانت قطعان النيل" وما يرد بعد ذلك من وصف دقيق للثور المصري , (Achilles Tatius,II.15.3:"διεπρεπον δε εν αυτοις οι του Νειλου βοες)، فلربما يكون لها دلالة مستقبلية عن حضور البطلين إلى مصر أرض النيل وما لقيا فيها من مغامرات.

[37] ففي Xenophon D' Ephese , IV.ii يدعو البطل هوبروكوميس النيل حتى ينقذ بعد أن حكم عليه بالصلب مرة وبالحرق مرة وفي كلتا المرتين يهيج النيل فيطيح بالصليب تارة وبالمحرقة تارة أخرى. وفي رأي أن هذا الدور لا يضفي طابعاً أوزورياً على البطل فحسب بل يؤكد فكرة حماية إيزيس للبطلة (أنظر هامش ٢٤).

[38] فدور النيل باعتباره المؤيد أو الحامي يمكن أن يجد له صداً أيضاً في رواية خاريتون ، حيث يتحدث قائد المصريين إلى خايرياس - الذي انضم إلي الجيش ضد الملك الفارسي – مشيراً إلى أن " النيل صديق للمصريين" (Chariton, VII. iii.3.: ".....Νειλος Αιγυπτιους φιλων").

[39] يستدل على الرقم هنا بالأحرف ؛ فالحروف في اللغة اليونانية تستخم كرموذ للأرقام ، أنظر Morgan 1989a,553 note225 و A. Σιδε/ρη 1997,383 σημ.2

[40] Sandy 1982,142

[41] أنظر الرواية ٢. ٢١. ٢٤-٢٥: "εντευθεν Αιγυπτιος".

[42] أنظـــــر الروايـــــة ٢. ٢٤. ١٨-١٩:"παλαι προφητης" ،٣. ١١. ٨-٩: "Μεμφιτης εστιν,..,ενι μεν προφητῃ"،٦. ١٥. ٢٦: "Αιγυπτιος και προφητης της Ισιδος".

[43] Herodotus Historiae, II. 81.15-18: " ενδεδυκασι δε κιθωνας λινεους περι τα σκελεα θυσανωτους,τους καλεουσι καλασιρις· επι τουσοισι δε ειρινεα ει ματα λευκα επαναβληδον φορεουσι".وحول معنى هذا الاسم أنظر أيضاً Sandy 1982,166. وقارن Heiserman 1977, 191

[44] أنظر Morgan 1994b, 100، وقارن بما جاء في ملخص الرواية الذي أوردناه أعلاه.

[45] Reardon 1969,302-303

[46] قارن Lesky 1990, 1184

[47] Winkler 1982,93-94

[48] حول الميستيريون (الطقس السري)في عبادة إيزيس أنظر Hagg 1983,87

[49] Sandy 1982,141

[50] Morgan 1994b, 100-101

[51] ولعل من الطريف أن نشير هنا إلى تأثر هيليودوروس بمصادره اليونانية التي قرأها عن مصر ؛ فلقد سبق وادعى ديودوروس الصقلي Diodorus of Sicily, I.24 أن هرقل مصري المولد: " Και γαρ Ηρακλεα το γενος Αιγυπτιον οντα,..".

[52] Sandy 1982,147

[53] وربما يكشف من هذه الظلال تشبيه كنيمون لكلاسيريس -في مراوغته وعدم البوح بكل ما يعرفه- ببروتيوس (٢. ٢٤. ٩- ١٠: "ευρηκα γαρ σε κατα τον Πρωτεα τον Φαριον") عجوز البحر المصري في الأوديسيا ، حيث اخبرت إيدوثيا منيلاؤس أنه هوالذي يعرف أعماق البحار ويتجسد في جميع الأشكال (Homer, *The Odyssey*, 4. 385: "αθανατος Πρωτευς Αιγυπτιος, ος τε θαλασσης πασης βενθεα οιδε.....", 417-418:"παντα δε γιγνομενος πειρησεται, οσσ' επι γαιαν ερπετα γιγνονται,..") وأنه لا سبيل أمامه سوى الأمساك به لمعرفة سر إبقاء الآلهة له في جزيرة فارس المنعزلة. ويرى ساندي أن الرواية التي يرويها هيرودوت (Herodotus *Historiae*, II.112-120) عن بروتيوس أكثر تشويقاً مما قاله هوميروس. فهو ،طبقاً لرواية هذا المؤرخ، مثل كلاسيريس، من أهل منف ويفعل ،كما يفعل كلاسيريس عندما يقوم بدور الحامي لخاريكليا، يعتني بهليني حتى وصول مينيلاؤس وإنقاذه لها (أنظر Sandy الهامش السابق)

[54]أنظر الرواية ٦. ١٥. ٢٩-٥ . ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن ممارسة هذه المرأة المصرية للسحر وفي منطقة غير بعيدة عن منف يمكن –على الرغم من تشابهها مع ما قام به أو ديسيوس عند نزوله إلى العالم السفلي في الأنشودة الحادية عشرة (٢٢-٣٦)- أن يمثل صدلاً أوزورياً ؛ فلقد ارتبطت ممارسة السحر بإيزيس ، ولا سيما في منف. وعن هذا الارتباط أنظر Graf 1997,89-92.

[55] Winkler 1982,115

[56] Heiserman 1977, 192

[57] Winkler 1982, 109

ويرى ويكلير (صفحة ١٠٢) أن العلاقة بين هذه الأقصوصة والقصة المحورية تشبه تلك التي بين حكاية ميلاد هوميروس التي اختلقها كالاسيريس - والتي سبق الحديث عنها آنفاً – وبين القصة المحورية: فنموذج الصفات الوراثية (الفخذ المشعر ،مثل الابن الآخر لهرميس ، وهو بان) التي يتم طرحها في تهم البنوة غير الشرعية وتؤدي إلى النفي والترحال يعد في الحقيقة مشابهاً لما يرد في قصة خريكليا ذاتها.

[58] Morgan 1989b, 107 ويعتقد مورجان (صفحة ١١٣) أيضاً أنه يمكن قراءة هذه الأقصوصة كشيء يضمن التجربة الرئيسة التي تقدمها رواية الإثيوبية عن طريق التقويض المسبق لأي افتراض مفاده أن عفة خاريكليا ليست سوى نتاج لمثالية المؤلف الفجة. إن الحبكة الفرعية تظهر أنه كان على دراية وفهم لاحتمالات الطبيعة الإنسانية السلبية منها والإيجابية.

[59] حول معنى اسم كالاسيريس انظر هامش ٣٥. كما أن اسم ثيامبس يعني بالمصرية الصائح(shouting) ،أنظر Winkler 1982, 105.على الرغم من أن Morgan 1982,247- التي تلاحظ أن كل من كالاسيريس وبيتوسيريس وثيرموثيس أسماءاً مصرية- ترى أن اسم ثيامبس لم يوجد بين الأسماء المصرية وأنه ورد كاسم نهر في إبيروس (على حسب ما ورد عند Ttucydide, I. xlvi. 4 :"ρει δε και ποταμος οριζων την Θεσπρωτιδα και κεστρινην) وكاسم شخصي (على حسب ما ورد عند Nonnos Dionysiaca, XXVI. 181:"τους Θυαμις κοσμησε...",XXXII..186 :).

[60] أنظر الرواية ٧. ٦. ١٢-١٣ : "..η πολις δε ωσπερ εκ θεατρου περιεστωσα" ، ١٦: "εις ανταγωνισμα δραματος".

[61] نلاحظ وجه شبه بين مشهد الاقتتال الثنائي بين البطلين في الرواية وبين الاقتتال الثنائي لولدي أوديب في التراجيديا اليونانية ، ولاسيما في فينيقيات يوربيديس. ومع ذلك فهناك نقاط خلاف حاسمة بين المشهدين في الرواية وتراجيديا الفينيقيات : ففي الرواية يساق احد الأخوين (بيتوسيريس) كراهية إلى ساحة الاقتتال وهو يطلب العفو بعد أن تم تسليحه بالقوة(٧. ٥. ٢٦-٢٧: "προς βιαν εξοπλιζομενου") وعندا يبدأ الاقتتال يلقي بأسلحته (٧. ٦. ٢٩: "τα οπλα αποβαλων") ويفر من أمام أخيه ، اما في المسرحية فما أن يُنفخ في صور المعركة حتى يندفع كلاهما اندفاعاً رهيباً تجاه الآخر (١٣٧٩: "ηξαν δρομημα δεινον αλληλοις επι"). وفي الرواية يقرر ثيامبس –بعد أن رآى أخاه وقد ارتعدت فرائصه خوفاً- أن يسعى للانتصار على أخيه دون ان ينوي قتله (٧. ٥. ٣٣: "ουκ αποκτειναι προῃρημαι") ، أما في المسرحية فإن أحد الأخوين (بولونيكيس) يدعو هيرا أن تمكنه من قتل أخيه (١٣٦٧: "δος μοι κτανειν αδελφον") والآخر (إتيوكليس) يدعو البالاس (بنت زيوس) أن تمكنه من ان يغرس حربته في صدر أخيه ١٣٧٤-١٣٧٥:

"δος εγχος ημιν..... εις στερν' αδελφου...βαλειν"). وفي حين ينتهي الاقتتال في الرواية - بعد تدخل الأب كالاسيريس- بأن تنقلب المأساة إلى ملهاة (٧. ٨. ٢٣-٢٤: "εις κωμικον εκ τραγικου το τελος κατεστρεφε") ، يقتل الأخ أخاه في المسرحية ليسقط كل منهما إلى جانب الآخر(١٤٢٣-١٤٢٤:"πελας πιπτουσιν αμφω").

[62] حول الأسطورة كما وردت في المصادر القديمة وخاصة عند بلوتارخوس أنظر هامش ٢٧.

[63] أسو هي ملكة إثيوبيا التي انضمت للمتآمرين ، ربما لغيرة أصابتها من جراء ما حققه أوزوريس من نجاح في أرضها. قارن Armour 1986, 73-74.

[64] Armour 1986, 102

[65] وتجدر الإشارة إلى أن النيل الذي يتماثل طبقا لنص الرواية مع أوزوريس يتماثل أيضاً طبقاً لها مع حورس ؛ فالكهنة "يدعونه حورس ...ومنقز مصر كلها أعلاها وأسفلها بخاصة.." (٩. ٢٢. ١٥-١٧ :" Ωρον ..... (αποκαλουντες, Αιγυπτου τε ολης της μεν ανω σωτηρα της κατω.."

[66] أنظر قصة المخاصمة بين حورس وست في حسن ١٩٤٠، ١٤٣-١٤٤و ١٤٨، حيث يرد "هل ستعطي الوظيفة هذا الغر في حين أن "ست" أخاه الأكبر لا يزال موجوداً؟".

[67] أنظر قصة المخاصمة كما وردت في حسن ١٤٩،١٩٤٠-١٥٠.

[68] أنظر Parkinson 1995, 70-71 ، حيث يعتمد على قصة حورس وست الواردة من أواخر حكم الأسرة الثانية عشرة من اللاهون.

[٦٩] أنظر نور الدين ٢٠٠١، ٦٢ وما يليها.

[٧٠] وبوتو الأثرية هي – كما ورد عن نور الدين (الهامش السابق)- تل الفراعين الحالية التي تقع على بعد ٢٤ كيلومتر إلى الشمال الغربي من مدينة كفر الشيخ. وهي تبدو Βουτοι الواردة عند هيرودوت أو Βουτος الواردة عن استرابون ، أنظر هامش ٧. وبهذا فهي ليست ببعيدة عن منطقة مسرح الأحداث وعصابة اللصوص الذي يتزعمها ثيلمس (بالقرب من مصب النيل الكنوبي أو خميس أو قرية بيسا).

[٧١] Tait 1994, 209-210

[٧٢] حسن ١٩٤٠، ١٢٢

[73] حسن ١٩٤٠، ١٢٣

[74] أنظر Hollis 1990, 68

[75] أنظر Hollis 1990, 68 في مقارنته بين قصة ست- باتا الواردة في بردية Jumilhac وقصة باتا الواردة في d'Orbinary. ولمزيد المعلومات عن هذين المصدرين (البرديتين) اللذين استقى منهما هوليز معلوماته عن أسطورة باتا أنظر Vandier, 1904-1973, passim و Griffith1889, passim

[76] أنظر Hollis1990,68-70, 72-73, 80, 166-167

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

Achilles Tatius, *The Adventures of Leucippe and Clitophon*(with an English Trans. by S.Gaselee). London , Loeb. 1947.

Chariton , *Le Roman de Chaireas et Challiroe* (etabli et Traduit par G. Molinie). Paris, Les Belles Lettres. 1926.

Diodorus of Sicily, *Library* (with an English Trans. by C. H. Oldfather) vol. 1. London, Loeb. 1960

Euripides' *Phoenician Maidens* (with an English Tans. A. S. Way) vol. 3. London , Loeb. 1962.

Heliodori *Aethiopicorum*, ed. by I. Bekkero. Lipsae, Teubnari. 1860.

Herodoti *Hisoriarum*, ed. by H. Kallenberg. Lipsiae, Teubneri. 1926.

Homer, *The Odyssey* (with an English trans. A. T. Murray) vol. 1. London, Loeb .1995.
Nonnos *Dionysiaca* (with an English W. H. D. Rose) vol.2. London, Loeb. 1956.
Plutarch's *Moralia* (with an English Trans. by F.C. Babbitt) vol. 5. London, Loeb. 1957.
Suidae *Lexicon*. Ex recognitione Immanuelis Bekkeri. Berolini. 1854.
Strabo, *Geography* (with an English Trans. by H. L. Jones) vol. 8. London, Loeb. 1982.
Thucydide, *La Guerre Du Peloponnese* (etabli et traduit par J. de Romille) Livre 1. Paris, les Belles Lettres. 1964.
Xenophon D'Ephese , *Les Ephesiaques ou Le Roman d'Habrocomes et D'Anthia* (etabli et traduit par G. Dalmeyda). Paris, Les Belles letters. 1926.

ثانياً : المراجع

أ ـ عربية

حسن، سليم. ١٩٤٠. *الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة*. القاهرة.
درويش، هشام ٢٠٠٤. "النسق الشعائري والصراع الدرامي في مسرحيات الباكخيات والضفادع والكيكلوبس" ، *أوراق كلاسيكية* ٥ : ٣٣١-٣٨٢.
درويش، هشام ٢٠٠٧. "البنية الشعائرية بين الدراما اليونانية والتمثيلية الطقسية في الشرق القديم" ، *مقارنات* ٢ : ٦٤-١١٦.
عتمان، أحمد. ٢٠٠١. *الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً*. القاهرة.
نور الدين، عبالحليم. ٢٠٠١. *مواقع ومتاحف الآثار المصرية*. القاهرة.
وهبة، محمد. ١٩٩٧. *الرواية اليونانية القديمة*. القاهرة.

ب- أجنبية

Anderson, G.1989. Xenophon of Ephesus : An Ephesian Tale (Introd.Trans & Notes). Ed. by B. P. Reardon. In *Collected Ancient Greek Novels*. Berkeley. pp.125-169.
Armour, R. A.1986. *Gods and Myths of Ancient Egypt*. Cairo.
Etman A. 1990. "Isis in the Greco-Roman World with a Special reference to Plutarch's Treatise" *JOAS*. pp.11-21.
Giangrande, G. 1962. "On the Origins of the Greek Romance: the birth of a Literary Form",*Eranus* 60.pp.132-159.
Γιατρομανωλακης Γ.1997.*Ηλιόδωρος ΑΙΘΙΟΠΙΚΑ ή ΤΑ ΠΕΡΙ ΘΕΑΓΑΝΗΝ ΚΑΙ ΧΑΡΙΚΛΕΙΑΝ*. Μτφρ. Α.Σιδέρη, Εισαγωγή Γ.Γιατρομανωλακης. Αθήνα.
Graf, F. 1997.*Magic in the Ancient World*. Harvard.
Griffith, F.L.1889. Notes on the Text of the D' Orbieney Papyrus.

Hagg T.1971. *Narrative Technique in Ancient Greek Romances : Studies of Chariton, Xenophon Ephesius, Achilles Tatius*. Stockholm.
---------. 1983. *The Novel in Antiquity*. Oxford.
Heiserman A. 1977. *The Novel before the Novel : Essays and Discussions about the beginnings of Prose Fiction in the west*. Chicago.
Hollis, S.T. 1990. *The Ancient Egyptian Tale of Two Brothers : The Oldest Fairy Tale in the World*. Oklahoma Series in Classical Culture. Norman.
Lesky,A.1990.*Ιστορία της Αρχαίας Ελληνικής Λογοτεχνίας*.Μτφρ. Α.Γ. Τσοπανάκη 5 Αναθ. Εκδ. Θεσσαλονίκη.
Merkelbach R.1994. "Novel and Aretalogy." Ed. by J. Tatum. In *The Search for the Ancient Novel*.Balltimore. pp 283-295.
Morgan, J. R. 1982. "History , Romance , and Realism in the Aithiopica of Heliodorus", *CA* 1. pp. 221-265.
----------.1989a.Heliodorus:An Ethiopian Story (introd. Trans.&notes). Ed.by B.P. Reardon.In *Collected Ancient Greek Novels*. Berkeley. pp. 349-588.
----------.1989b. "The Story of Knemon in Heliodorus' Aithiopika", *JHS* 109. pp.99-113.
----------.1994a."Introduction" of *Greek Fiction:The Greek Novel in Context.* Ed. by J. R. Morgan & R. Stoneman. London. pp. 1-12
----------.1994b."The *ATHIOPIKA* OF HELIODOROS : Narrative as riddle." In *Greek Fiction: The Greek Novel in Context.* London. pp.97-113.
Parkinson, R.B.1995."Homosexual' Desire and Middle Kingdom Literature", *JEA* 81. pp.57-76.
Perry, B. E. 1930. "Chariton and His Romance from a Literary-Historical Point of View", *AJPh* 51. pp.93-134.
Reardon, B.P. 1969."The Greek Novel", *Phoenix* 23. pp.291-309.
----------.1989. *Collected Ancient Greek Novels* (ed. & introd.). Berkeley.
----------.1991.*The Form of Greek Romance*. Princeton.
----------.1994."Μυθος ου λογος : Longus's Lesbian Pastorals" . Ed. by J. Tatum. In *The Search for the Ancient Novel*.Balltimore. pp.135-147.
Richter, D.S. 2001. "Plutarch on Isis and Osiris : Text, Cult, and Cultural Appropriation", *TAPhA* 131. pp. 191-216.
Sandy, G.N. 1982."Characterization and Philosophical Décor in Heliodorus' Aethiopica", *TAPhA* 112. pp.141-167.
Σιδέρη, Α. 1997. *Ηλιόδωρος ΑΙΘΙΟΠΙΚΑ ή ΤΑ ΠΕΡΙ ΘΕΑΓΑΝΗΝ ΚΑΙ ΧΑΡΙΚΛΕΙΑΝ* (Μτφρ. & σημ.). Εισαγωγή Γ. Γιατρομανωλακης . Αθήνα.

Simms, R.R 1989. "Isis in Classical Athens", *CJ* 84. pp. 216-221.
Stoneman R.1994. "The Alexander Romance From History to Fiction." Ed.by J. R. Morgan & R. Stoneman. In *Greek Fiction: The Greek Novel in Context.* London. pp.117-129.
Tait J. 1994. "Egyptian Fiction in Demotic and Greek." Ed.by J.R.Morgan & Stoneman, R. 1994. In *Greek Fiction : The Greek Novel in Context* London. pp.203-222.
Vandier, J.1904-1973.Le Papyrus Jumilhac. Centre National de la recherché Scientifique.
Winkler, J.J. 1982."The Mendacity of Kalasiris and the narrative Strategy of Heliodoros' *Aithiopika*", *YCS* 27. pp.93-185.
----------.1994. "The Invention of Romance." Ed. by J. Tatum. In *The Search for the Ancient Novel.* Balltimore. pp. 23-38.
Zeitlin F.I.1994."Gardens of Desire in Longus' s Daphnis and Chloe: Nature, Art and Imitation" . Ed. by J. Tatum. In *The Search for the Ancient Novel.* Balltimore. pp. 148-172.